الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت بريد محمد فريد . القاهرة



تصدرها

الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

العدد ٥٣ - ١٤ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ - ٢٣ يوليو ١٩٦٤ م - السنة الثانية

من هو الثائر؟

للدكتور محمد أحمد خلف الله



هذا سؤال نطرحه .

ولن نستطيع الاجابة عنه فى دقة ما لم نجب عن سؤال آخر نطرحه الى جواره . سؤال تساعد الاجابة عنه فى الكشف عن الخصائص المميزة للثائر ، وفى بيان الدور الذى يلعبه فى الحياة .

والسؤال الآخر الذى نطرحه ، ونحاول الاجابة عنه أولا هو :

ومن هو الفوضوى ..

والاجابة عن السؤالين تتطلب هى الأخرى البحث عن العوامل المكونة لكل من الفوضوى والثائر . أو البحث فى تلك التربة التى نمت فيها تلك البذرة التى نمت ، وأينعت ، واثمرت ، فكان منهـا هـذا الفوضوى أو ذلك الثائر .

والتربة التى نقصدها هى البيئة التى عاش فيها كل منهما ومدى علاقته بها ، أو هى المناخ الاجتماعى والمناخ الفكرى لكل منهما .

والفوضوى والثائر انسانان يعيشان فى مجتمع واحد ، ولكنهما يختلفان فيما بينهما من حيث صلة كل منهما بتلك التربة التى ينبتان فيها ، ويسقيان بمائها .

والفوضوى انسان لم تمتد جذوره فى البيئـة الى الأعماق وانما ظلت على السطح فلم يدرك من المناخ الاجتماعى والمناخ الفكرى الا النذر ، وهو من هذه الناحية يشبه المشردين واللاجئين .

أو هو انسان امتدت جذوره فى البيئة ولكن بعض العوامل التى أثرت فيه اقتلعت هذه الجذور وتركتها فى العراء حيث لا تربة ولا غذاء . وهو من هذه الناحية انسان لفظته البيئة بعد أن حطمت آماله وأحلامه .

والفوضوى انسان ذو حيوية ، وتفوق طاقته عادة تحدى البيئة له . ومن حيث أن العلاقة بينه وبين البيئة ليست على خير حال فان نشاطه يتوجه الى الهدم لا البناء . الى الانتقام لنفسه أولا وقبل كل شىء .

يقول الاستاذ رينه حبشى فى بعض محاضراته بدار الندوة اللبنانية ببيروت :

(أ) من أى فئـة من فئات المجتمع يجنـد الفوضويون ؟

الجواب بسيط . انهم يجندون فى أغلب الأحايين من بين المشردين وغير المندمجين فى مجتمعهم . اذ يجب أن يكون المرء قد فقد كل مالديه من أمل كى يجاذف بآمال الآخرين . يجب أن يكون قد فقد كل صلة بالآخرين كى يتجرد من ذاته ويجرد الآخرين من وجودهم .

ان مخيمات اللاجئين أرض خصبة للفوضويين اذ ان الذين يعيشون فيها مطرودون من بلادهم ، ولم يبق لهم فيها جذور .

(ب) قبل أن يصبح الانسان فوضويا كان رجلا مثل سائر الرجال حتى اعترضته قوة عاتية جارت عليه وظلمته فاخرجته من اطار ذاته مدشنة حياته كمتشرد غير مندمج .

سله عن سبب فوضويته .

انه يجيب ! لقد تجاوزوا كل حد .. ان جميع حقوقي مهضومة ... اني كرامتي قد ديست .

(جـ) تفوق الشرارة الحيوية عند الفوضويين تحدي بيئتهم ، وهم اذ يستخدمون خافاتهم الحيوية على عكس طبيعتها ـ حيث لا حاجة اليها ـ تندفع الاخفاقات في حياتهم فينصرفون الى الهدم انتقاما وتشفيا .

انهم باذلالهم الغير يعوضون ذلهم امام الغير

أما الثائر فانسان تمتد جذوره في البيئة الى الأعماق . انه يمتص كل غذاء في التربة . انه يدرك ادراكا كاملا ودقيقا مافي البيئة من عادات وتقاليد ، ومافيها من افكار ، ومافيها من آراء ومعتقدات .

انه يعرف الصالح من الطالح . ويدرك أن الفساد قد عم ، وان الباطل قد ساد .

انه لحرصه على البيئة التي فيها نشأ يحاول الاصلاح . يحاول الاحتفاظ بالصالح والقضاء على الطالح .

انه لا يحاول الهدم محبة في الهدم او تشفيا وانتقاما . وانما يحاوله من حيث هو وسيلة للاصلاح .

ان الثائر انما يلجأ الى العنف في حالتين .

الأولى : أن يقف الحاكمون أمام مطالب الجمهور المعقولة ، انه في هذه الحالة يثور لأنه الشخص الذي تركز في وجدانه كل ماللامة من آمال وأحلام، انه يثور باسم الأمة وباسم تحقيق أهدافها .

الثانية : أن تكون الأمة قد بلغت من التخلف حدا لا يفيد فيه غير الاصلاح الجذري الذي لايمكن أن يتم الا على أنقاض المؤسسات التي تمثل التخلف والانحطاط .

والانسان الثائر لا يستحق هذا الوصف بحق الا اذا توافرت فيه صفات أو شروط تحول بينه وبين أن يصبح فوضويا .

١ ـ أول هذه الشروط ان يكون غنيا بالمعرفة .

ان الثائر الذي لاتمكنه ثقافته من ادراك حقيقة الموقف ، ومن النظرة الشاملة لكل ما للموقف من أبعاد ، لايستطيع أن يثور .. اى لايستطيع ان يهدم ويبني في آن .

ان الثورة ليست تحطيما وكفى وانما هي عملية هدم من أجل البناء .

ان الثائر الذي يقف عند حدود الهدم قد يكون هو والفوضوي سواء .

٢ ـ وثاني هذه الشروط أن تكون له ذاكرة قوية تعي ماضي امته ، وتستحضر له في كل موقف تجارب التاريخ .

ان الانطلاق الثوري يجب ان يبدأ من الماضي .

ان الذين يتجاهلون التاريخ ويحصرون ذاكرتهم في الحاضر وحده يكونون اشبه مايكون بالفوضويين. يكونون أصحاب وجدان ضعيف ، او اصحاب وجدان سريع الانفعال .

٣ ـ أن يكون قادرا على رسم خطة للمستقبل السعيد الذي يجسم أحلام الأمة وأمانيها ، ويحقق لها أهدافها .

ان الثائر انما يرتكز على الماضي من أجل التحكم في المستقبل .

يجب عليه أن يدرك اين هو ، والى أين يريد أن يسير ، وما المراحل التي يجب ان يقطعها ليبلغ الغاية .

ان الارتجال حين يتعلق بحياة الأمة ينحرف بها الى التناقض ويحدث ردود افعال تجعل عمل الثوار اشبه بعمل الفوضويين .

٤ ـ أن يشعر بمسئوليته في كل موقف من المواقف .

ويساعد الثائر على ذلك ثقافته الممتدة الى كل ابعاد عمله .

ان الثائر انسان يتمنى النظام دون ان يحول هذا النظام بين الناس وبين الروح الانتقادية .

انه انسان يحب الجمهور ، ولكنه لا يتخلى عن مبادرته الشخصية وصفاء ذهنه .

انه انسان يشعر بالحماسة دون أن تبلغ هذه الحماسة حد الجنون .

انه انسان يعرف العداوة ولكنه لا يصل بها ابدا الى حد الحقد .

انه يثور ولكن لا يدع البغض يسيطر عليه .

انه في كل لحظة حكم على نفسه ، وعلى من حوله، وعلى ما حوله .

انه مسئول عن نفسه وعن الآخرين .

انه رجل .

دكتور
محمد احمد خلف الله

الثروات الطبيعية والتصنيع

من خلال آيات القرآن الكريم

بقلم : محمد محمد المدني

- ١ -

● القرآن الكريم يخاطب النوع الانساني بعناية وتقدير ، على أساس أن الانسان مخلوق له رسالة عظيمة الشأن استخلفه الله فى الارض لتحقيقها ، ويسر له جميع وسائلها ، حيث زوده بالعقل ، واقدره على الحركة الفكرية التى لها طابع المتابعة واستنباط المجهول من المعلوم ، وزوده باعضاء وجوارح تعينه كذلك ، ثم جعل الارض نفسها مزودة بكل شيء « وبارك فيها وقدر فيها اقواتها » ، وهيا للانسان فيها جميع الثروات الطبيعية ، والمواد الاولية ، ثم سخرله مع ذلك كل شيء خارج نطاق الارض .

والروح الذى يدرك من هذا كله : ان الارض وماحولها ميادين عظيمة خلقت وهيئت بقوانين وسنن ثابته حكيمة ، وسخرت للنوع الانسانى ، كى يجول فيها ، ويستثمر ثمراتها ، وينتفع بخيراتها . ويولد منها ماشاء وماهداه اليه عقله ، ومااستطاعه دون حجر ولا تحديد .

لقد منح القرآن الكريم الانسان بهذا شخصية قوية ، وغرس فيه الاعتداد بالنفس ، والثقة بالقدرة ، والرغبة فى توليد كل مايعينه من الامكانيات الطبيعية والصناعية ، ليتقدم من نصر الى نصر ، ويرتفع من علو الى علو ، تحقيقا لقوله تعالى **« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش »**

وهذه العناية الالهية بشان الانسان راجعة الى علمه تعالى وحكمته ، ولذلك تساءل الخلق الاخيار — وهم الملائكة — لما استخلفه الله فى الارض ، عن سر اختياره دونهم ، فأعلمهم الله انه أقدر منهم على تحقيق الرسالة التى اختير لها ، لما هياه الله عليه من صفات ، وزوده به من قدرة وامكانيات **« واذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى اعلم مالا تعلمون »** وهذا حكم فاصل من شانه ان يرفع معنويات الانسان ، حيث يرى ان الاله الخالق القادر الحكيم العليم اعتبره اصلح لعمارة الكون من الملائكة الابرار الاطهار ، مع انه مخلوق يصدر عنه الفساد احيانا ، وسفك الدماء احيانا ، ومع انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ثم حكم حكما آخر على منافس آخر للانسان ، هو ابليس عدو بنى آدم اللدود ، حيث امره بالخضوع لآدم ، فلما لم يخضع تكبرا واستعلاء ، وعصى امر الله ، وقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، لعنه الله وطرده من رحمته ، ونصر الانسان عليه فى موقف التحاكم ، وحذره منه ومن ذريته مبينا له انه عدوه المبين **« قال اخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين »**

واذن فالانسان هو النوع المختار الذى علم الله جدارته بالرسالة التى استخلفه فى الارض من أجلها ، دون الطيبين الابرار من الملائكة ، والمفسدين الاشرار من الابالسة .

وما دام الانسان مخلوقا له رسالة ، وقد استخلف فى هذا الكوكب لغاية ، فلا يمكن أن يرضى الاسلام الذى يقرر هذا ويؤكده مرة بعد مرة فى آيات من كتابه الخالد ، بأن يقضى الانسان حياته فارغا او قابعا مستسلما لما حوله ، مستمرئا رتابة الحياة ونعيمها السهل الميسر دون ان يعمل ويشقى .

وليس الاسلام هو دين الرهبنة الذى يرضى أو يطلب من الانسان أن يعيش كما يعيش الراهب فى صومعته ، أو كما يعيش المنقطع فى الجبل ، لا يعمل، ولا يزرع ، ولا يحصد ، ولا يفكر ، ولا يؤلف ، ولا يوجه ، ولا يشارك فى اى نشاط ، بحجة انه متفرغ للعبادة ، واداء حق الشكر لله تعالى على ما أنعم ، وانه مؤثر للزهد فى الحياة ، واحتقار الدنيا وزينتها .

وذلك لسبب بديهى هو ان هذا هروب من الرسالة التى خلق لها ، وتخلص من الامانة التى هيىء لتحملها ، وغفلة عن قاعدة اساسية قررها الاسلام ، وهى انه يعتبر كل عمل يقوم به المرء للاصلاح والتعمير ، والتوليد والتثمير ، عبادة لاتقل فى اهميتها عن الصلاة والصيام والحج ، بل ربما تفضلها ، وان الله تعالى حين قال **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** لم يحصر نوع العبادة بالنسبة للانس فى اداء الفرائض والنوافل الروحية ، وانما بين فى غير هذه الآية ان لكل عمل صالح فهو عبادة مادامت النية فيه حسنة ، والقصد سليما مشروعا، ومادام المرء مؤديا به حقا عليه لنفسه او لمجتمعه ، او لامته ، او للانسانية عامة .

* * *

اذا تبين لنا هذا علمنا ان الاسلام يريد تهيئة النوع الانسانى للعمل والسعى وتعمير الارض واكتناه شأن الكون ، والانتفاع بما سخره الله فيه .

وبذلك يكون قد أمد الارض بالموارد البشرية ، أى هيأ لها — باعتبارها منجما كبيرا او مستودعا هائلا — موارد لا تنقطع من القوى البشرية العاملة الدائبة المفكرة المدبرة ، المقبلة على السعى بفطرتها وطبيعة تكوينها ، ولم يحل بالدين بينها وبين هذا السعى والدأب ، بل جعله دافعا لا مثبطا ولا مخذلا ولا معوقا .

فهذا هو المورد الاول والاساسى من موارد الاعمار والكشف والتثمير والتحصيل والتصنيع ، لولاه ما كان للارض قيمة ، ولالثرواتها الطبيعية من ينتفع بها ، ولا لما حول الارض دلالة ولا اشارة تنبىء عن عظمة الخلق ، وبديع الصنع ، ولظل العالم كالقصر المنيف الذى هيىء أعظم التهيئة بكل شىء ، ثم ترك خاليا خربا لا يسكنه احد !

وان هذا ليتفق مع النظريات الاقتصادية كل الاتفاق فانه لا فائدة فى اى مورد من الموارد الاقتصادية الطبيعية الا اذا توافرت لها الموارد البشرية التى تستنبطها وتستحييها وتعمل فيها العقل والفكر ، وتصنعها او تهذبها على نحو من التصنيع او التهذيب .

* * *

● والقرآن الكريم بعد ان يبين الغاية من خلق الانسان ، وبعد ان يحشد افراد هذا النوع للعمل والسعى والدأب ، كمورد اساسى للاعمار والتصنيع يلفت الانسان فى كثير جدا من الآيات ، الى الثروات الطبيعية التى خلقها الله ، واعدها للانسان لينتفع بها على وجه طبيعى احيانا ، وصناعى احيانا ، **فهو يلفت الى الثروة الزراعية ، او النباتية حيث يقول :**

«هو الذى انزل من السماء ماء ، لكم منه شراب، ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع ، والزيتون ، والنخيل ، والاعناب ، ومن كل الثمرات، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

« ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون »

« ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فانى تؤفكون »

« وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء ، فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من اعناب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون »

« وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين »

« وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

« ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد »

« افرايتم ماتحرثون ؟ أانتم تزرعـونه ام نحن الزارعون لو نشاء جعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، انا لمغرمون ، بل نحن محرومون »

« افرايتم النار التى تورون ؟ أانتم انشـأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين »

« الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ، فاذا انتم منه توقدون »

فلينظر الانســان الى طعـامه : انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبـا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

« وانزلنـا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، **وجنات الفافا** » .

الى غير ذلك من الآيات التى تلفت الى الثروة النباتية التى هى أساس عيش الانسان وغذائه وطعامه وفاكهته ، والتى يرجع اليها شطر كبير من عمل العاملين ، وتجارة المتجرين ، وحركات النقل ، والمصانع .

ويلاحظ ان القرآن الكريم يلفت الانظار الى هذه الثروات بأسـلوبه الذى ينتهز كل فرصة تواتيه حتى ينفذ من خلالها الى العبرة والدلالة على بديع القدرة ، وواسـع الرحمـة ، لانه يربط دائما بين الأشياء والأعمال ، وما توحى به من حقائق توجب الايمان ، وتحول بين الانسان وما قد يعتريه من الطغيان ،وتعرفه بربه وماله من حق عليه .

ولذلك نراه لا يسرد أصناف النبات والزرع سردا كما لو كان يقدم بها جدولا اقتصاديا ، او كشفا حسابيا ، وانما يذكرها موزعة فى مواضع مختلفة ، ويقدمها الى العقول كى ترى فيها عظمة الخالق : « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه »

« ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » « ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون » «ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون» « فلينظر الانسان الى طعامه » « أانتم تزرعونه ام نحن الزارعـون » وهـكذا يأتى لفت الانظار الى الخيرات والثمرات مقترنا بلفت الانظار الى واهبها والمنعم بها ، وهذا من أسرار البلاغة والاعجاز فى القرآن الكريم ، اذ يثير العواطف فى قلوب المؤمنين حتى وهو يقدم صورة اقتصادية تلفت الى بعض الموارد الطبيعية .

ثم يلاحظ أيضا ان القرآن الكريم يلفت فى أثناء ذلك الى تصنيع هذا النوع من الثروات، حيث يقول فى بعض الآيات «تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا» فالاتخاذ لا يكون الا بنحو من الصـنعة والعمل والتحويل ، وحيث يقول « وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات » والتعريش انما يكون حيث يتعاون الانسان مع السنن الكونيه للنبـات والزرع ، فهو لون من ألوان الصنع الانسانى الذى يدخله الناس على بعض الموارد الطبيعيـة تنظيما للانتفاع بهـا ، وتحويلا لهـا عن اوليتها الفطرية وسذاجتها الاصلية ، ويقول الله تعالى فى التفرقة بين مايكون من فعل الانسان وفعل الخلاق « افرايتم ماتحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزراعون » فالحرث هو فعل الانسان ، اذ هو الذى يقلب الارض ويهيئها لتلقى البذر ، ويثير باطنها ، أما الزرع فهو صنع الرحمن اذ هو الذى سن قانون النبات ، واودعه القوة التى تجعله يمتص الماء بقدر ، ويأخذ من التربة بقدر ، ومن ضوء الشمس بقدر ، فينزرع وتتمكن جذوره ثم ينمو ويؤتى اكله كل حين باذن ربه ، وليس للانسان فى هذا الجانب أى عمل ، وكذلك قوله تعالى « افرايتم النـار التى تورون أانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون » فالشجر فى الغابات وفى غيرها منشأ من الله تعالى بتكوين عناصره التى يمكن معها أن يكون نارا ، وليس للانسان دخل فى تكوين هـذه العناصر وتأليفها ، وقد اكتشف الناس فيما بعد ان هذه الشجرة التى توقد منها النار هى الأصل للفحم الشجرى ، وقد مرت عليها اعصار طويلة فى المصنع الالهى حتى صارت فحما يستخرج ويسـتوقد بفعل الله ، او كما يقولون بفعل الطبيعـة ، وما الطبيعة الا قوانين التكوين والتحويل التى سنها الله ، فسـبحان الخلاق العليم !

محمد محمد المدنى

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

لهيب الكفاح فى شعر خالد الشواف

للدكتور بدوى طبانة

لم يكن خالد الشواف معروفا فى عالم الشعر عندما برحت بغداد سنة ١٩٤٧ عقب زيارتى الاولى لها ، وان كانت بعض الظروف قد اتاحت لى ان اعرفه عن كثب يستقبل حياة النضج والاكتمال ، ويجد فى دراسته العالية للقانون فى كلية الحقوق ، مع ولوع ظاهر بالمعرفة ، وهيام بالغ بالشعر والأدب ، وخلق رفيع قبس فيه كثيرا من فضائل ابيه العالم الكبير الاستاذ عبد العزيز الشواف الذى تولى ارفع مناصب القضاء فى وادى الرافدين ، واسرته التى اشتهر منها رجال فى ميادين العلم والحرب والجهاد .

وقد اتاحت لى تلك الظروف ايضا فرصة الاستماع الى محاولاته الاولى فى نظم الشعر . ولكنى على الرغم مما كنت اجد فى اكثر ما قرات او سمعت له من معالم الاصالة ومظاهر الاجادة لم اكن اتوقع ان يسير خالد فى الشوط الى غايته ، فقد عرفت عددا كبيرا من الشباب . وقد كنت واحدا منهم — هاموا فى مطالع حياتهم بفن الشعر ، ثم انصرفوا او صرفتهم بعض شواغل الحياة او الاستغراق فى جانب من جوانب التفكير عن هذا الفن الجميل ، وقل منهم من واصل السعى حتى اصبح من المعدودين فى طليعة اصحاب ذلك الفن الجميل .

وحين عدت الى القاهرة اذ ذاك لم يكن يملأ راسي من شعراء العراق وادبائه الا اولئك النفر الذين استوت ملكاتهم واستقرت منازلهم فى عالم الشعر ، ووصلوا فيه الى درجات عالية من الاجادة والاتقان من امثال الرصافى والزهاوى والشبيبيين — رضا وباقر — والحبوبى ، والجواهرى ... والا تلك الظاهرة الجديدة فى عالم الشعر العربى المعاصر ، وهى ظاهرة تالق عدد من بنات حواء المجيدات من امثال نازك وعاتكة وام نزار وصدوف وربابي فى سماء الشعر العربى .

وكان من احب المفاجآت الى نفسي ان وصلت الى فى اخريات سنة ١٩٥٨ هدية ثمينة هى ثلاثة من النماذج الادبية المطبوعة للشاعر خالد الشواف ، هى :

(١) مسرحية شعرية تاريخية عنوانها (شمسو) طبعت فى بيروت ١٩٥٢ .

(٢) مسرحية شعرية تاريخية عنوانها (الأسوار) طبعت فى بيروت ١٩٥٦ .

(٣) ديوان شعر عنوانه (من لهيب الكفاح) طبع فى بغداد سنة ١٩٥٨ .

وفى زيارتى الاخيرة لبغداد قدم الى خالد ديوانه الاخير (حداء وغناء) الذى نشرته دار الآداب فى بيروت سنة ١٩٦٣ .

وقد اقبلت على قراءة هذه الآثار بشغف شديد ، لأقف على مدى ما اصاب خالد من توفيق وما قطع من اشواط فى فن الشعر ، واخيرا وجدتنى امام شاعرية اصيلة ، وفن مطبوع ، تمرس صاحبه وتحنك فيه ، واصبح بحق ركنا من اركان دولة الشعر فى بلد الشعر ، بل فى مواطن العروبة كلها .

***

ان الوحدة التى تؤلف بين هذه الآثار ، والتى تطل منها معالم الشخصية الفنية لخالد الشواف هى روح العروبة الحية النابضة التى تعيش فى شتى مواطنها وتتفاعل باحداثها وتعزف الحان آلامها وامانيها ،

وتنعى على اسباب فسادها وعوامل تخلفها وقعودها، وتشيد بأمجادها ، وتطرب لروح الحياة اذا رأتها تدب في اوصالها .

فديوان خالد الشواف الاول « من لهيب الكفاح » ليس ديوان خالد الشواف ، وليس ديوان العراق فحسب ، بل هو ديوان كل عربي وديوان العروبة بمشاعرها واحاسيسها ، والشاعر فيه لا يعيش في بيته او بيت ابيه في الاعظمية من ضواحي مدينة السلام ، بل يعيش في مواطن العروبة كلها ، ويتنقل بين ديارها ، بين مغانيها ورموسها ، بين احيائها واشلائها ، في سباتها العميق وفي ثوراتها العارمة .

انه مع الاحياء يشد أزرهم ويقوي عزائمهم، ومع الكسالى ينهضهم ، ومع النيام يوقظهم . ولم ينس خالد في ديوانه بلدا عربيا ، ولا ثورة عربية ، ولا قضية من قضايا العروبة التي تشغل البال ، وتؤرق المؤمنين بحقوق أمتهم ومستقبل اوطانهم ، وانك لتقرأ مظاهر تلك الحساسية وذلك الشعور المرهف في سائر قصائد الديوان ، وتطالعك معالم تلك اليقظة في اول كلمات الشاعر التي اهدى فيه ديوانه **«الى كل من اكتوى باللهيب المقدس من كفاح الشعب العربي في فلسطين .. في سوريا .. في مصر .. في المغرب العربي .. في العراق .. وفي كل بقعة من بقاع الوطن الكبير ، اقدم هذا القبس من لهيب الكفاح الخالد » !**

اجل ، ذكر خالد كل هذا ووفى لكل هذا ، وان كان خالد قد نسي شيئا فانه لم ينس الا نفسه وذاتيته التي فنيت في خضم العروبة واحداثها ، وتقرأ آثار التضحية والفداء في اول ما تقرأ من شعر الديوان :

ان كان بحر دماء دون غايتنا
فقد عبرنا على اشلاء قتلانا
او كان مهر الاضاحي قبل جلوتها
فقد نحرنا لها شيبا وشبانا

وشعر الديوان يمثل الى حد كبير وحدة المشاعر التي جمعت بين قلوب العرب ، والتي تجد صداها في قلب كل فرد من افراد الشعب العربي من الذين لم تفسدهم الدعة ولم تستهوهم شهوة الحكم ولا ابهة السلطان ، ولم يخدعهم المستعمرون عن غاياتهم الاصيلة في الحرية لبني جلدتهم ، والسيادة على ارضهم ، والكرامة لكل من درج عليها .

ومن هنا لا نلمح في شعر الديوان الا روحا عربية صافية تحلق في سماء العروبة ، وتحيا في ربوع فلسطين ، وفي ارض الكنانة وعلى ضفاف بردى وفي المغرب العربي وفي وادي الرافدين ... ولكن خالدا لا يحيا على هامشها ولا في لهوها ومفاتنها ، ولكنه يحيا في جراحها وكفاحها وآمالها .

وفي هذا الشعر الحماسي الفياض لايقف الشاعر موقف الباكين على الطلول او النائحين على امجاد الأسلاف ، بل موقف القادة الذين يستنهضون العزائم ويشحذون مواضي الهمم .

فلسطين في لهيب الكفاح

اشرت في كلمة سابقة في « الرسالة » الى أن مأساة فلسطين التي هزت مشاعر الأمة العربية كانت من اهم القضايا التي استأثرت بعناية ادب العروبة في كل مكان ، وان حظ الشعر العراقي من تلك العناية كان عظيما .

وكان خالد الشواف من ابرز شعراء العراق الذين هزتهم النكبة واحداثها السابقة واللاحقة . وشعره في فلسطين هو اول شعر يطالعك في ديوانه الأول « من لهيب الكفاح » وهذا الترتيب الذي جعل فيه خالد اول شعره في الديوان قصائده في فلسطين براعة الاستهلال وآخره شعره في وطنه الأول العراق ان كان له شيء من الدلالة فانه يؤكد عروبة الشاعر الاصيلة التي لا تفرق بين موطن وموطن آخر من ديار العرب .

وقد افتتح خالد شعره في فلسطين بهذا البيت الذي يمثل أمل كل عربي في رجعة الوطن السليب وعودة العرب الى ديارهم بالعمل والجهاد ؛ لا بالبكاء والنواح :

الثار .. ان الثار صرختنا
حتى نعود .. فهل هنا اذن ؟

وهو آخر ابيات قصيدته « اللاجئون » وهي آخر قصائده واحفلها بالعواطف الجياشة التي اتصلت فيها حرارة الأمل بلوعة النكبة .

والقصائد التي صاغتها شاعرية خالد في فلسطين سبع ، وعناوينها : القدس ، والوليد المسخ ، والوتر والثار ، ومصرع الليث ، وصرخة ، واللاجئون ، وطال شوق السيوف للجولة الثانية .

وترتيب هذه القصائد في الديوان ترتيب تاريخي، واولاها واقدمها قصيدة « القدس » التي كتبها اثر زيارته لتلك المدينة في صيف عام ١٩٤٥ ،ولذلك فانها تعدمن بواكير شاعريته الخصبة ، ويبدؤها خالد باستعادة الذكريات الدينية والامجاد التاريخية التي اعظمت شأن ذلك البلد :

هنا يا رفاق اخشعوا وارهبوا
هنا البلد القدس الطيب
هنا موطن المعجزات التى
تغنى بها الشرق والمغرب
هنا مذبح الاضحيات التى
الى الخلد سار بها موكب
هنا سقى الانبياء الكرام
فيوضا من الوحى لا تنضب
هنا وطئت قدما احمد
وجبريل اكرم من يصحب
تحن لمعراجه مكة
وتهفو لمهبطه يثرب
هنا جال بين الصفوف صلاح
كما انتفض الأسد المغضب

واحسب ان اعجاب خالد فى مطلع حياته الشاعرة بشوقى وادمانه قراءة شعره هما اللذان اجريا فى فى البيت الاول من هذه الابيات عبارة « البلد القدس الطيب » التى وصف بها شوقى مدينة يثرب فى مسرحيته « مجنون ليلى » وذلك فى قوله :

آمن يثرب انت آت
اجل ! من البلد القدس الطيب !

وربما كانت «القدس» التى يتحدث عنها خالد هى التى جرت الاوصاف الثلاثة التى اخذها من شوقى ثم نقلها من « يثرب » الى « بيت المقدس » بالاضافة الى اتفاق الشاعرين فى الوزن والقافية !

ثم ابيات ثلاثة يختم بها الشاعر قصيدة القدس مشيرا الى الصراع بين العرب واليهود آنذاك ، والى دعوى اليهود أن (اورشليم) لهم ، وبذلهم الاموال لدعم هذا الباطل ، ثم جود العرب بدمائهم فداء لأوطانهم :

فيا عجبا .. كيف يمسي اليهود
ومشربهم وردنا الاعذب ؟
وقال : لنا (ارشليم) اليهود
وقال : بل القدس لى يعرب
فسال النضار ، وسال النجيع
ولا يخطىء الحق من يطلب

وفى البيت الثانى من هذه الأبيات قليل من التقديم وقليل من التاخير اضعف المعنى وان لم يصل به الى درجة الفساد ، واحسب ان الأصل : وقال اليهود اورشليم لنا ، وقال يعرب : بل القدس لى ! . وان كان يؤخذ على الشاعر انه اورد دعوى اليهود الباطلة على انها قول ، ولم يزد فى ايراد حق العرب الاصيل على انه قول كذلك !

اما القصائد الست الباقية من شعره فى فلسطين فانها تتصل بالاحداث الكبرى فى معركة فلسطين ، وفيها يتتبع الشاعر الاحداث التى عاصرها ، ويعبر اقوى تعبير عن مشاعر العرب تجاه تلك الاحداث، فالقصيدتان « الوليد المسخ » و « الوتر والثار » تعرضان لمشروع التقسيم ، وقد القيت القصيدة الأولى فى المظاهرات التى انطلقت احتجاجا على هذا المشروع فى اوائل كانون الأول سنة ١٩٤٧ ، وفيها يعبر عن سخط الشعب العربى على ذلك المشروع ، ويهدد بثورته وانتقامه من اليهود وممن صنعوا المشروع لحمايتهم والكيد للعرب :

سنبعثها مخضبة تلظى
لتكبح من خيالهم الجماحا
فيصبح مهده الموعود لحدا
ويصبح روضه المومق ساحا
رعاة الشر .. كيف استمتوهم
ربا الوطن المقدس والبطاحا
امنتم بطشة الآساد لما
رأيتم من خرافكم النطاحا
سكتنا عنهم انفا فقالوا
لقد القت لنا العرب السلاحا

اما القصيدة الاخرى « الوتر والثار » فقد كتبها الشاعر بعد قرار التقسيم بعد الاولى بأيام ،والقاها فى احتفال شعبى كبير اقيم احتجاجا على ذلك القرار ،وهى احدى روائع خالد التى تفيض بالحماسة، وفيها يتصل فخر العروبة بالبسالة والفداء باثارة الحمية وشحذ العزائم ، وتتصل الاحقاد على الصهيونية ودعاتها بالدعوة الى التنبه الى الذين يسندونها من المستعمرين من خلف الستار :

بشرى فى تربك الغالى الجدودا
زمجر الغاب لباء واسودا
هذه الأحقاد فى اعراقنا
افعمتها شرة الغرب وقودا
فتلظت حمما وانفجرت
صاعقات ، لابروقا ورعودا
ظمئت حينا فلما سقيت
اكؤس الذل ابت أن تستزيدا
ودعت ساقى الوغى هاتفة
فجر الكرم وريدا فوريدا
الكئوس الحمر ما اعذبها
كلما انكت يد الضيم الحقودا

ثم يستعيد الشاعر آيات البطولة ، ويستثير النخوة والحمية ، ويستنهض الهمم للقاء الاعداء والقضاء على مطامعهم ، مذكرا ببطولة صلاح الدين الذى شتت شمل اعداء الامة وبدد جحافلهم،وبذكريات حطين الخالدة التى لاتزال تملأ راس كل عربى ، وتشغل فراغ قلبه ، ولن تعدم الامة فى كل نازلة مثلا من امثال صلاح الدين :

كلما صال عليها بطل
هتفت ان صلاحا قد اعيدا
شرفا يا موطن المجد غدا
نزحم الافق رجالا وحديدا
قد بعثناها كما شئت لظى
ستحيل الحدث المشئوم عيدا
تجعل التقسيم فى اجسادهم
لاعلى الأرض خطوطا وحدودا

فارتقب يا موطن المجد غدا
لترى خلف الدجى الصبح الوليدا
وترى « حطين » فى امجادها
عرس النصر الذى عاد جديدا

ويرسم الشاعر بعد ذلك صورة الغد المأمول والزحف المقدس للثأر من المعتدين ، ومظاهر البطولات العربية تتجلى فى ميادين الوغى تحت الوية النصر الساحق :

موطن المجد غدا تشهدها
رحبات مائجات وبنودا
وترى الأبطال فى سكرتها
تعطم الأجداث او تسقى الصعيدا
كلما عربد فى الساح الندى
هتف النصر بساقيها : المزيدا

ثم يصف الشاعر صحوة العرب ويقظتهم للمهزلة الكبرى ، وهى ما كان يدعيه المستعمرون من عطف على العروبة وما بذلوا للمخدوعين منهم من الآمال الكاذبة والوعود الباطلة ، مذكرا العرب بتلك الخديعة الكبرى وتصديقهم المستعمرين فى دعواهم انهم اصدقاء العرب :

ايه يا غرب لقد علمتنا
كيف نلقى الشر ان شر اريدا
نحن حتى امس كنا نوما
ثم كشرت فنبهت الرقودا
يالها مهزلة ايماننا
بضمير ما راى بعد الوجودا

مثلتها هيئة البغى فما
احكم التلقين فانثال شديدا
اسدل الستر عليها عندما
طعنوا فى قلبه الحق الشهيدا

وفى ذلك اشارة الى ان هذا البغى الذى اضاع حق العرب فى بلادهم ، واقتطع اجزاء منها للأفاقين من شذاذ العالم انما مثلته هيئة الأمم فخرج باسمها للناس ، فلم تكن هيئة العدل والحق بل كانت هيئة الظلم والبغى بما رضيت ان يخرج باسمها على انه رايها ، والحقيقة أن بريطانيا التى كانت تتظاهر بصداقة العرب ، وتخدع انصارها بالوعود الكاذبة والآمال المعسولة هى التى اخرجت تلك المسرحية مسرحية البغى والعدوان على الشعب العربى فى فلسطين ، واختفت هى وراء الأسوار والأستار ،وهنا يصب الشاعر جام غضبه على بريطانيا المخاتلة ، ونقمة الشعب العربى على سوء ما صنعت :

ياالجنبول الذى اخرجها
وانتحى عن مسرح الظلم بعيدا
ياله من خاتل مستائم
نسي الوعد ولم ينس الوعيدا
العهود الكثر لن نطلبها
خاب من يطلب من نذل عهودا

ولا وعد بعد ذلك النكث الا وعد السيوف يجردها العرب الاحرار من اغمادها ، ليستخلصوا بايديهم وسيوفهم حقوقهم ، ويثاروا من واترهم ومن العدو المصانع الذى بدا فى صورة الصديق البرىء ، وهو راس الفتنة واس البلاء :

الظماء البيض ان رويتها
خير من ينجز للحر الوعودا
ايها المتسل من غمرتها
سوف تطويك وشيكا او وئيدا
مانسيناك وقد اضرمتها
وطرحت البلد القدس وقودا
احكم القيد فصككته يد
زعموها حررت امس العبيدا
والمناحات على الحق انطوت
فانشروا فى الأرض للباطل عيدا

ذلك شيء من تلك الجزيرة الرائعة التى املتها عروبة خالد الصادقة ، وفجرتها غيرته على امته ، ووجده وحفيظته على اعدائها من المستعمرين ومن المخدوعين المخادعين .

اما « مصرع الليث » فهى ابيات كتبها الشواف فى البطل عبد القادر الحسينى الذى استشهد فى

ربيع عام ١٩٤٨ . وهى على وجازتها تفيض بآيات القوة والاستحكام فى معانيها المضطرمة وعباراتها الملتهبة ، وحسبنا أن نتمثل منها بهذه الأبيات :

يايها الضيغم الثاوى بتربته
لسنا ننام وجفن الثار مانطبقا
سيشرب الثار ما يسقيه مصطبحا
ساقى الدماء وما يسقيه مغتبقا
ان يظما الوتر يطف الحر غلته
وان سقاه نجيع القلب والرمقا

وقصيدته « صرخة » انشدها فى أخريات نيسان ١٩٤٨ حينما كانت الجامعة العربية تنعقد وتنفض ، وكانت الوفود الرسمية تطير وتحط ، بينما فلسطين تتمزق والجيوش العربية تنتظر :

وفود تطير وقول يقال
سئمنا الكلام فاين الفعال ؟
افى كل يوم لكم محفل
تقدمه سهرة واحتفال ؟
وينفض عن ثروة فى الوعود
وعن امنيات عراض طوال ؟

وكان حكام البلاد العربية آنذاك يتذرعون امام الامة فى تباطئهم وتوانيهم عن اقتحام ميادين الوغى لاستئصال شأفة اليهود الدخلاء بدعوى الدراسة والتدبير الذى يتطلب الصبر والاناة محذرين امتهم التى نفذ صبرها من مغبة التسرع والارتجال ،فينشد خالد هذه الأبيات فى تهكم مرير :

وحتام يدرس أمر الحمى
مليا ويعرض كل احتمال ؟
افى امره يذمم الارتجال
وكل الذى تعملون ارتجال ؟
اما منكم مخطىء واحد
يشير عليكم بامر النضال ؟
فلسطين باتت بايدى اليهود
فماذا انتظاركم للقتال ؟

الى ان يقول :

اما فيكم نخوة تستثار
لما لقيته ذوات الحجال ؟
اما هزكم سوء هذا المصير
فقد هز والله حتى الجبال

وخاتمة المأساة « اللاجئون » وهو الاسم الذى اختاره لقصيدته السادسة من شعره فى فلسطين ، فكان ان اتهم السادة الحاكمون ، وكانت نتيجة اقدامهم المتردد ، وبسالتهم المصطنعة ضياع فلسطين وتشريد ابنائها الذين اصبحوا بين عشية وضحاها لاجئين . وقد جعل خالد يتحدث بلسان اولئك المشردين ، فيصف مأساتهم ، كما عرض بالحكام ومنتحلى الزعامة الذين عاثوا على اشلائهم ، وهى قصيدة تثير الاسى وتبعث الشجون :

من أين ؟ لا ارض ولا وطن
لادار لا مأوى ولا سكن
من أنتم ؟ الغرباء ، أنكرنا
واشاح عن مأساتنا الزمن
اللاجئون .. وليت من وسموا
باللاجئين بارضهم دفنوا !

الى ان يقول بلسانهم مشيرا الى اولئك الحكام والزعماء :

قامت على اشلائنا زمر
مأساتنا لقيامهم ثمن
كانت تثبتنا بالسنة
ويحاك بالايدى لنا كفن
واليوم ايديهم تشق لنا
لحدا ودمع عيونهم مزن
يايها الباكون حسبكم
فالدمع لاشبع ولا سمن
الثار .. ان الثار صرختنا
حتى نعود .. فهل هنا اذن ؟

وقصيدته السابعة « طال شوق السيوف للجولة الثانية » هى ختام شعره فى فلسطين فى ديوانه « من لهيب الكفاح » وفى هذه القصيدة يصف خالد نهاية المعركة او نهاية الجولة الاولى والجراح التى خلفتها احداثها ، وينحى باللوم والتقريع على كل من شارك فى تلك المأساة التى اجترحتها فلول من بنى الانسان فى القرن العشرين ، فاضاعوا الحقوق واهدروا كرامة الانسانية بغيا وظلما . اما سبيل الحقوق واسترجاعها فانه معلوم ، انه فى استئناف القتال ، انه فى الجولة الثانية :

ايها الآملون للحق بعثا ان ماتأملون احلام نائم
صم سمع الذئاب عن دعوة الحق فخلوا علاجه للزمازم
مل طول القعود كل ابى ان داب العظيم صنع العظائم
طال شوق السيوف بعد صلاح والمثنى وخالد والملاحم

وبتلك السبع الجياد ساير خالد الشواف النكبة من بدئها الى نهاية احداثها ، وعاش فيما عاصره من احداثها بعروبته الاصيلة وحسه المرهف وعاطفته الصادقة وبيانه المشرق العذب الذى يباهى به فحولة الشعراء فى عصور القوة والازدهار .

دكتور بدوى طبانه

اشتراكية الثقافة وكيف تكون

بقلم

عبدالكريم الخطيب

المدلول « الوظيفي » لكلمة « اشتراكية » لايكاد يختلف كثيرا فى أصل الوضع اللغوى لتلك الكلمة عنه فى المفهوم الذى تقوم عليه اليوم كمذهب أو عقيدة ، أو نظام حياة ٠٠ اذ هى فى صميمها مشاركة مادية أو فكرية أو وجدانية فيما فى أيدى الناس أو فى عقولهم أو قلوبهم ، وان اختلفت وجوه هذه المشاركة فى أبعادها وأعماقها ، وفى دوافعها واتجاهاتها وغاياتها ٠

وأيا كان الامر فاننا نحيا اليوم فى ظل «اشتراكية» هى نظام ينتظم حياتنا كلها ٠٠ السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وغيرها من وجوه النشاط الانسانى فى المجتمع العربى الاسلامى ٠

وليس هذا الحديث درسا فى الاشتراكية ، ولا تقييما لها مع المذاهب الاخرى ٠٠ وانما هو ملحظ يسير غاية اليسر ، لا يحتاج الى كثير من الوقوف ، وانعام النظر ، للتعرف عليه ، والفهم له ٠٠

ذلك أنه اذا كان من وجوه الحياة ما هو مادى وما هو معنوى ، ثم كان للماديات ضوابطها ومقاييسها ، وكان للمعنويات ضوابطها ومقاييسها كذلك ــ فانه ينبغى أن تكون ضوابط الاشتراكية ومقاييسها فى مجالاتها المادية غيرها فى المجالات المعنوية ٠٠ بمعنى ان يكون لها هنا حساب وتقدير ، وأن يكون لها هناك حساب وتقدير ، اذ أن أى تسوية فى الفهم بين هذه المجالات من شأنه أن يضلل الرأى ، ويفسد الحكم ٠٠ تماما كمن يطب للعين بما يطب به للقلب ، على مفهوم أنهما عضوان فى جسد !

***

والحق أن مفاهيم الاشتراكية ــ وبخاصة فى مجالها الثقافى ــ لم تكن واضحة تماما عند كثير ممن حاولوا أن يكونوا فى السابقين الأولين من دعاة هذا المذهب، وأن يحسبوا فى الكوكبة الاولى من جنده ، على حين أنهم ، أو كثيرا منهم لم يفهم الاشتراكية هذا الفهم الذى يقيم لها فى كيانه صورة واضحة يتأثر بها تفكيره ، ويستقيم عليها سلوكه فى المجتمع ، وتجرى عليها منازعه فى الحياة !

ان الذين يفهمون الاشتراكية فهما واعيا مبصرا هم أقل الناس كلاما عن الاشتراكية وأكثرهم عملا لها وحياة فيها ٠٠ وان الذين لايفهمون الاشتراكية ، وبالتالى لا يؤمنون بها ــ لان الايمان الذى يعتد به لا يكون الا عن فهم وعلم ــ هؤلاء هم اكثر الناس كلاما عن الاشتراكية ، وأبعدهم عن العمل لها والحياة فيها !

ولك أن ترصد مجرى الحياة لواحد من أولئك الذين يثرثرون فى الاندية ، وفى الاذاعة ، وفى المجلات والصحف ، وفى الرسائل والكتب ــ انك لو فعلت هذا وتتبعت حياة هذا الانسان ليوم أو لبضعة أيام لرأيت انسانا لا يتحرك حركة ، ولاينطق كلمة الا ليجمع مالا ، والا ليستكثر مما يجمع ، ثم هو بعد هذا أحرص الناس على المال ، وأشدهم ضنا به ، لا ينال منه قريب أو بعيد !

ان أمثال هذا الانسان وجوه شائهة للاشتراكية ، واعلانات رخيصة مزرية لها ٠٠ اذ ليس أضر على المذاهب السليمة ، والمعتقدات الصالحة من أن يتفشاها المنافقون ، الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ٠٠ ولقد تنبه الاسلام من يومه الاول لهذا الخطر ، فنصب للمنافقين حربا راصدة دونها كل حرب كانت بينه وبين الكافرين والمشركين ٠

وماذا تقول عن انسان يتحدث عن الاشتراكية فى جميع مجالاتها الاقتصادية ، والاجتماعية، والسياسية والثقافية بمفهوم واحد ، ومخطط واحد ، وكلمات وعبارات واحدة محفوظة ، لا تتغير منها كلمة ، ولاتنخرم منها جملة ؟ أفيكون لمثل هذا الحديث الذى لا رصيد له فى كيان صاحبه ، ولاتقدير له فى ضميره أو عقله ــ أيكون لمثل هذا الحديث أثر فى الناس ، أو تأثير فى الحياة ، فان يكن شىء من هذا أو ذاك فهو التشويش والبلبلة ، وتصديع الرءوس وازعاج

الخواطر بهذا الصياح الاجوف ، والصراخ الكاذب .

وانظر لترى عجبا ..

يتحدث بعض المتحدثين عن اشتراكية الثقافة فيرددون كلمات : الاقطاع ، والطبقية ، والعزلة ، والظلم ، والاحتكار ، والتسلط ... الى جميع الكلمات التى تقال فى الحديث عن الاشتراكية الاجتماعية أو الاقتصادية ، مع اضافة كلمة «الثقافية» هنا بدلا من الاجتماعية أو الاقتصادية .. هناك !

فاذا كان من مفهوم الاشتراكية فى المجال المادى ـ الاقتصادى أو الاجتماعى ـ هو التقريب بين أفراد المجتمع وتضييق أو اذابة الفوارق بين الطبقات ، بمعنى أن يقوم توزيع الثروة المادية بين أفراد الجماعة على أساس من العدل ، والتكافل ، بحيث لا يجتمع فى المجتمع هذان الطرفان المتناقضان ، الغنى الفاحش المبطر المفسد ، والفقر المدقع المبلس المذل ـ اذا كان هذا هو المفهوم الذى استقرت عليه قواعد الاشتراكية الاجتماعية فانه بهذا المفهوم نفسه ، وبمنطقه كله ، وباحكامه جميعا يتحدث هؤلاء المتحدثون عن الاشتراكية الثقافية فيدعون الى العدالة الثقافية ، والى أن يقوم توزيع الثقافة فى المجتمع على نفس الاساس الذى يقوم عليه توزيع الثروة المادية ، بحيث تتقارب أو تذوب الفوارق العقلية بين أفراد المجتمع ، فلا يكون هناك الفيلسوف والجاهل ، ولا العالم والامى ! بمعنى ألا يجتمع العلم الغزير والجهل المطبق !

وينبنى على هذا المفهوم أن تتحكم الدولة فى وسائل الثقافة كما تحكمت فى وسائل الانتاج الاقتصادى ، كى تستطيع تحقيق التوازن بين العلماء والجهلاء كما حققته بين الاغنياء والفقراء !

وهذا لا شك رأى خاطىء وقياس سقيم .. فاشتراكية الثقافة غيرها فى السياسة ، والاقتصاد والاجتماع .. اذ العلم شىء غير المادة .. انه يعظم ويربو على الانفاق ، على حين تضمر الاشياء المادية وتقل بالانفاق ، وهذا وحده كاف فى التفرقة بين اشتراكية الثقافة واشتراكية وسائل العيش فى الحياة !

ومع هذا فان هناك فروقا كثيرة بين المجالات المادية للاشتراكية وبين المجال الثقافى منها .. وأهم هذه الفروق هى :

أولا : الحصيلة الثقافية التى تجتمع للمثقف هى نتيجة جهد شخصى يبذله الفرد فى الجد والتحصيل ، دون أن يدخل فى هذه الحصيلة شىء من الغصب ، أو النهب ، أو السرقة ، او الاستبداد ، أو الظلم ، او نحو هذا مما يدخل فى جمع الثروات المادية ، ويكون غالبا عنصرا مهما من عناصرها ..

ومعنى هذا أن العلم الذى يحصله العالم هو عمل خالص له ، ليس لأحد شىء فيه ، ولا لكائن ما متعلق به ، أو حق قبله ، وهذا على خلاف الثروات المادية التى يحصل عليها الفرد ، فانها انما تجىء من تبادل المنافع مع الناس ، ومن الاخذ والعطاء معهم ، وبغير هذا لا يكون للعمل الفردى أثر ، ولا للجهد الانسانى ثمرة فى هذا المجال .

وينبنى على هذا أن الثروات المادية فى يد أصحابها ليست ملكا خالصا لهم بل تتعلق بها حقوق كثيرة للمجتمع الذى نمت فيه وازهرت .. على خلاف الثروات العلمية التى هى ملك خالص لاصحابها .

ثانيا : اذا كان الشره والاثرة وحب الجمع والحرص على ما يجمع ـ من الصفات المذمومة التى يجب أن يحاربها المجتمع فى دائرة الفرد وفى محيط الجماعة فيما يتصل بالمال ـ فان ذلك كله محبوب مرغوب فيه فى مجال الثقافة ، واذا كان على الدولة أن تعمل على أن تخفف من حدة هذه الرغبات الجامحة فى مجال الحياة المادية بالتربية ، وبالتشريع أيضا ، فان واجبها أن تمد هذه الرغبات بما ينميها ويقويها ويشعل وقدتها فى مجال العلم والثقافة .

وينبنى على هذا أن الدولة حين تنظر بعين الحذر والريبة ، بل وعدم الاطمئنان والرضا الى الثراء الفاحش الذى يبطر أهله ، ويفسد أصحابه ، فانها تنظر بعين الغبطة والطمأنينة والرضا حين ترى الأفذاذ من علمائها ، ومثقفيها ، يرتفعون ويرتفعون فى درجات العلم الى غايات لا حدود لها ، بل انها كلما نظرت فرأت طلائع علمائها يقفون عند غاية عملت جاهدة على أن تدفع بهم الى الامام ، وأن تزيح ما يعترض طريقهم من عقبات .

ثالثا : اذا كان من شأن المال الكثير أن يغرى أصحابه بالغرور ، وأن يزين لهم التعالى والتشامخ والتسلط على الناس ، فان من شأن العلم كلما غزر وكثر أن يجعل من صاحبه شعلة مضيئة تبعث فى الناس الأمن والطمأنينة ، وتكشف لهم معالم الخير ، ومسالك الهدى .

رابعا : اذا كان من شأن صاحب المال وجامعه الضن به ، والحرص عليه ، والاشفاق من أن ينقص

بالانفاق ، ويتبدد بالمنح والاعطـــاء ، فان من شأن صاحب العلم أن يسخو به ، وأن يمنح ويسرف في المنح ، وان يعطى ويبالغ في العطاء ، دون أن يخشى على ما معه من علم أن ينفد أو ينقص ، بل انه ليجد في نفسه أنه كلما أعطى كثر ما عنده . وتضاعف ما لديه ، فان العلم لا يحيا الا بالعطاء ، ولا ينمو ويكثر الا اذا أخرج ثمره للناس ، والا اذا اقتطفته أيديهم ، وتناولته عقولهم .. كالشجرة الطيبة المثمرة لا تبلغ غايتها من النماء والقوة الا اذا أثمرت ، والا اذا جنى ثمرها ، ليخلي مكانه لثمر جديد !

واذن فهـذه المقـاييس التي يحتكم اليها أولئك الذين يتحدثون عن اشتراكية الثقافة ، ويخلطون بينها وبين الاشتراكية الاقتصادية أو الاجتماعية — ليست هي المقـــاييس التي تؤدي الى نتيجة سليمة كتلك التي أدتها في المجال المادي .. بل انها لتنتج نتائج عكسية تماما في أغنياء العلم واقطاعييه وفي فقرائه ومعدميه على السواء !

انها اذ تقف في وجه العلماء ، وتردهم الى الوراء حتى يتخففوا من علمهم ، وينزلوا بعقولهم الى مستوى العـــامة ، وحتى تذوب الفوارق الطبقية بينهم وبين سواد الناس — انها اذ تفعل فعلها هذا في العلمـاء لا تحصل على شيء من هذا العمل ينتفع به الفقراء — فقراء العلم — بل انهم ليزدادون فقرا وجهلا حين تخفت من حولهم أضواء هذه الشعل المضيئة ، وحين يتلفت الناس فلا يجدون تلك المنـــارات العـــالية المتوهجة التي يهتدون بها ويجتمعون اليها .

ان الحكماء والفلاسفة والعلماء لا يناقض وجودهم في المجتمع وجود الطبقات الفقيرة في العلم والمعرفة ، ولا يجور عليها ، ولا يذهب بحق من حقوقها .. بل ان هؤلاء الحكماء والفلاسفة والعلماء هم أمل هـذه الجمـــاهير الفقيرة ، وهم الذين يبددون الظلام من حولها ، ويطلعون وجوه المعرفة في آفاقها .. اذ ان شأن ذي العلم أن يعلن علمه في الناس وأن يظهرهم عليه ، وأن يدعوهم الى ما عنده من علم ومعرفة ، بل انه ليلح في دعوتهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .. انه لا يعرف بالعلم ، ولا يحسب في العلماء الا اذا أذاع علمه ونشره بكل وسائل الاذاعة والنشر .. بل ان كثيرا من العلماء ليسرفون في ذلك على أنفسهم فيعرضون ما يعرفون وما لا يعرفون ، ويسخون بما يملكون وما لا يملكون .. !

ان اشتراكية الثقافة لا تكون أبدا اذا جاءت على هذا المفهوم الذي يفهمه عليها بعض المثقفين وينادون به .. اذ أنها بهذا المفهوم تقيم سلطانا متسلطا على العقول المستعدة لمدركات الحكمة والفلسفة فلا تسمح لها بالتحليق في تلك الاجواء البعيدة عن تلك الارض التي تغوص فيها أقدام السواد من الشعب .. والا فأين تقارب الطبقـات واذابة الفوارق بين أبنـاء المجتمع ؟

ان هذا فهم سقيم للاشتراكية في مجالها الثقافي فيه اعتـــداء صارخ على الطبيعة البشرية ، وعدوان مبين على العلم وحظوظ العقول منه .. انه أشبه بما يفترض أن ينادى به في الناس — ان كان هذا ممكنا — ألا يشغل أحد حيزا في الهـواء أكثر من قدر معلوم مقدور بأوساط الناس طولا وعرضا !! وما بالناس من حاجة الى هذا ، ولا خير يعود منه على أحد منهم ، اللهم الا ما يلزم به ذوو الاجسام الفارعة وممن آتاهم الله بسطة في الطـــول والعرض من أن يعملوا حسابهم مقدما ، وأن يضعوا أجسادهم في قوالب من حديد ، على وفق القالب المحدد المرسوم .. كما تفعل اليابانيات بتجميل أو تجميد أقدامهن في قوالب من حديد .

ان هذا الفهم السقيم لاشتراكية الثقافة يضر بغير المثقفين بالقدر الذي يضر فيه بالمثقفين ، وذلك ان قدر لهذا الفهم واقع عملي في الحياة ، أو أمكن تحقيقه على صورة ما ! اذ لا سبيل الى اذاعة الثقافة وشيوعها الا بالمثقفين ، والا بالصفوة الممتازة البـــالغة غاية الامتياز في العلم والحكمة ، اذ لا يعد عالما ولا حكيما من علم علما واحتبسه في صدره ، أو وعى حكمة وعقلهـــا في عقله .. وقد قال الله سـبحانه : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهـــوا في الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم** » .. **وقال النبي الكريم :** « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » .. **وقال :** « **رب حامل علم الى من هو أعلم منه** » .

هذه هي اشتراكية الثقافة في ضمير الافراد فيما بينهم .. أما حين تريد الدولة أن تجعل من سلطانها قوة عاملة في اذاعة الثقافة ، وفي منح المحرومين منها حظهم الذي حرموه لظروف مادية أو اجتماعية ، بل وربما عقلية — فانها لا تذهب هذا المذهب في فهم اشتراكية الثقافة ، وفي تطبيقها .. هـــذا الفهم البليد ، وهذا التطبيق الغبي ..

وفي الميثاق نصوص واضحة صريحة نيرة لمفهوم الاشتراكية في الثقافة يحقق تطبيقه تطبيقـا سليما ثقافة تشيع في الناس جميعـــا العلم والمعرفة ، بل وتدفع بهم دفعا الى ارتياد الآفاق التي لا حدود لها من آفاق العلوم والفنون .

عبد الكريم الخطيب

الشريعة والناس

بقلم : محمود الشرقاوى

«الشريعة والناس » عنوان فصل من كتابى : « **تقويم الفكر الدينى** » ولـكنى لا اجد بأسا من استعارته لهذا المقال الذى لا اجد اصدق منه عنوانا لما اريد ان اقول فيه .

وقد دفعنى الى كتابة هذا المقال امران : اولهما ذلك النقاش الحى المفيد الذى قراناه فى **«الرسالة»** بين الاصدقاء الاساتذة الدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور خلف الله والاستاذ المدنى . وهو نقاش يدور حول مسالة محددة هى « حكم التسرى فى الاسلام » ولكنه يثير مسالة اكبر اهمية من ذلك هى صلة الشريعة ــ او رجال الشريعة ــ بحياة الناس ومشكلات مجتمعهم . والى هذه المسالة الهامة نقل الدكتور خلف الله موضوع المناقشة والجدل .

والدافع الثانى لكتابة هذا المقال ساجعله ختاما له .

اكثر المشتغلين بشئون الفكر الدينى عندما يقعون تحت مؤثرات خاصة تباعد بينهم وبين واقع الحياة التى يعيشها الناس ، بمقدار ما يقتربون ويتعلقون بالنصوص والحروف الجامدة التى كانت تقال وتكتب لخدمة أوضاع خاصة فى مجتمع باد وانتهى زمنه ولن يعود ، ومن الخير للحياة والناس فى عالمنا العربى المعاصر الا يعود ، ولن يعود .

والمشتغلون بالفكر الدينى يشكون وتتأزم نفوسهم ويغضبون لأن « **الناس** » انصرفوا ، او اوشكوا ان ينصرفوا ، عن شريعة الله ولكنهم لايدركون انهم ــ أى رجال هذا الفكر ــ بعض اسباب هذا الانصراف وانه انصراف عنهم وعن فهمهم للشريعة اكثر مما هو انصراف عن الشريعة نفسها ، وانه ، بعد ذلك وقبل ذلك ، من طبيعة العصر كله فى العالم كله ، ولكنهم ــ اى رجال هذا الفكر ــ جعلوه فى وطننا العربى وفى مجتمعنا انفصاما وصدا يوشك ان يكون قطيعة وعداء وحربا ، حيث لا يجد « الناس » عندهم حلولا لمشكلات حياتهم ومجتمعهم بل أكثر مايجدون صدا وتعويقا وتجريما .

نعيش فى عالم يفور ويمور ، وفى وطن يكافح ويقتحم ويقدم على مشكلات حادة معقدة من مخلفات الماضى يتطلب لها حلا عند كل صاحب راى ، ولكنا نجد من رجال الفكر الدينى من يترك هذا كله ويؤلف الكتب عن « **الجن** » : كيف تتزوج وتنجب .. ! ؟ وكيف يستطيع أن يتزوجها الآدميون وينجبوا منها اولادا .. ؟! ولمن تنتسب هذه الاولاد .. ! ونجد منهم من يؤلف الكتب فى « **اقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .. !** » ومن يكتب عن « **ذى القرنين** » الذى ورد ذكره فى القرآن ، هل هو الاسكندر المقدونى ام غيره .. ! واليوم اقرا عن كتاب صدر ، او نشر ، يتحدث عن « **ايمان فرعون** » ويتضمن ما قاله علماء كبار اختلفوا فى ذلك وجادل بعضهم بعضا . كان الناس فى عصرنا هذا الذى يفور ويمور ، ومجتمعنا الذى يواجه ويجابه ويقتحم يشغل بالهم ويؤرق ضميرهم انهم لا يعرفون هل كان ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى ام غيره ، وهل كان فرعون مؤمنا أم كافرا او منزلة بين المنزلتين ... !

***

ولا اريد ان اناقش القوم فى ان هذه **«الثقافة»** او بعضها مما يشغل بعض الناس أو يروق لهم ، ولا فى انها او بعضها مفيد او غير مفيد وانما اذكرهم بهذه القاعدة التى تعلموها وتعلمناها من قبل : لكل مقام مقال، وهى قاعدة لاشك انهم تعلموها وعلموها تلاميذهم .

فاذا تطلع الناس الى هؤلاء القوم من رجال الفكر الدينى يريدون ان يستمعوا الى آرائهم واحكامهم فى مشكلات حياتهم وشئون يومهم ومعاشهم وجدوا من « يفتيهم » بأن تعليم البنت واختلاطها وعملها

وسفورها حرام ، فأخروا عجلة التطور وتواقحوا على الشرفاء واوقعوا ملايين البنات والامهات والآباء فى الجهل والفقر والشقوة .

ووجدوا من **«يفتيهم» بأن «الجمعيات التعاونية»** حرام ، لانها مخالفة للدين ! — كما قال بعض « العلماء » اول هذا القرن — ومن يقول ان التمثيل حرام ، والسينما حرام ، واخراج شخصيات الصحابة على شاشتها حرام ، ومن يقول ان التامين حرام والاوراق المالية حرام والربا البسيط، و«يامر» بأن تقفل بنوك الارض كلها وتقف معاملات الناس والحكومات فى العالم كله ، ومن يخالفهم فى ذلك فهو كافر زنديق هرطيق سيصلى نار جهنم ولو كان يحاججهم برأى ابن عباس الذى عرفه الصحابة وعرفه المؤرخون بانه « ترجمان القرآن » .. !

ووجد الناس من يقول ان الغناء حرام والتصوير حرام وشرب القهوة حرام .. !

وتريد الدولة ان تجد حلا لمشكلة حادة عاجلة ملحة لراى الدين عند الناس فيها شان ووزن ، هى مشكلة تحديد النسل ، بل « فيضان » النسل . فتجد من يقول : تناكحوا تناسلوا فانى ، اى النبى عليه السلام ، مباه بكم الامم يوم القيامة ، وزاد بعضهم : حتى بالسقط . فاذا قلنا لهم ان رجلا من كبار الصحابة كان كاتب الوحى للنبى عليه السلام خطب الناس على منبر المسجد فى يوم الجمعة « فنهاهم » عن « كثرة العيال » ، اذا قلنا لهم ذلك وجئنا بدليله ومراجعه قالوا : حديث مكذوب ونسبة مدعاة منحولة .

وقد حفظت تحت يدى قصاصة من صحيفة تتضمن هذا « البيان » .. !

اصدرت لجنة ... بيانا مفصلا عن « حكم الشريعة الاسلامية » فى اشتراك المراة فى الانتخاب للبرلمان وقد ذهبت اللجنة — بعد ان اوردت الادلة فى نقص وشمول — الى انه « يتبين ان حكم الشريعة » فى اشتراك المراة فى انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها فى اختيارها لتكون عضوا فيه : « كلاهما ممنوع .. ! .. كذلك حفظت قصاصة من صحيفة نشر فيها عالم كبير مثل هذا الكلام او هذا « الحكم » ونشر فى وسطه صورة كبيرة له فى « بذلة التشريفة » ؟ !

ولست أدرى ماذا يقول القوم الذين اصدروا هذه الفتاوى ومن نصرهم يوم ذاك وصفق لهم وهم يجدون اليوم سيدات وآنسات ناخبات ونائبات فى مجلس الامة .. ؟ لم يمنعهن من ذلك « مانع » ولا « ممنوع » .. !

ووجه الخطر فى ذلك على الشريعة وعلى تقدير الناس لها وعواطفهم حيالها ، والحرج عليهم فى ذلك ايضا ، ان القوم يقولون آراءهم هذه واصفين لها بانها « حكم الله » او « حكم الاسلام » او « حكم الشريعة » وهى ليست الا فهما خاصا خاطئا لهم اوقعهم فيه ماقلناه اول هذا المقال من انهم «واقعون تحت مؤثرات خاصة تباعد بينهم وبين واقع الحياة التى يعيشها الناس بمقدار ما يقتربون من النصوص والحروف» . وهم ، مع ذلك ، يريدون ان يخضعوا حياة الناس لافهامهم الخاطئة هذه عن الشريعة ويريدون ان تصطبغ مجتمعات الناس — فى العالم كله لو استطاعوا — بصبغة هذه الافهام هم كما وصفهم صديقنا واستاذنا امين الخولى : **يلقون الناس بالسيوف المصلته من حلال وحرام، والرماح المشرعة من احكام مقررة لا ينالها نقض ولا ابرام . فكلمة الله هى ما فى افواههم لا غير ، ورأى الاسلام الاوحد هو ماجرت به السنتهم دون سواهم ، وحكم السماء انزل عليهم دون غيرهم .**

❊ ❊ ❊

وقد ذكرنى موقفهم هذا حيال آراء واقوال ليست من كلام الله بل قال بها ناس مثلى ومثلهم ، ذكرنى ذلك بما قرأت من ان فى بلاد الحبشة ستة ملايين حمار لايفيد منها الناس شيئا — رغم فقرهم وحاجتهم لكل شىء — ولا يركبون ، بل يحملون عليها الحطب فقط . يفعلون ذلك و «يحترمون» هذه الحمير لأن السيد المسيح دخل بيت المقدس يركب حمارا .. !

فاذا قالوا فى امر من اهم ما يشغل الدولة ، مثل الاستيلاء والمصادرة مثلا ، قالوا كلاما لا يقنع الفاقهين للشريعة الحريصين عليها ، وقد لا يكونوا هم مقتنعين به ايضا ، ولعل من الخير للشريعة ولهم ان يستندوا الى المصالح المرسلة وحق الحاكم فى تحريم الحلال لخير الناس وصالح المجتمع ، مثلا ، وقد قال ابن حزم فى ذلك كلاما مفيدا يغنيهم عن ذلك كله .

امثلة يرددونها ولا يتدبرونها :

وقد يكتب بعض القوم يقول ان الشريعة مطاوعة ودين الله واسع وانه يسر لا عسر وماشاد الدين احد الاغلبه . قد يكتب البعض فيقول ويناقش ويستدل ويذكر احكاما من الشريعة تقول ان الاصل فى الاشياء الاباحة وان الامور طلق حتى يرد المنع وانها حلال مالم يجىء نص على المنع والتحريم . ويعرفون من خبر موثق لا شك فيه ان عمر ، وهو خليفة الرسول منع قطع اليد فى عام المجاعة ــ وهو حد من حدود الله

ويعرفون من خبر موثق لا شك فيه ان الطلاق الثلاث كان يقع فى عهد النبى وجزء من خلافة ابى بكر طلقة واحدة اذا كان بلفظ واحد ، ثم شدد عليهم عمر وعاقب الناس على تسرعهم فأوقعه ثلاثا .

ويجدون فى حديث النبى ما يبيح تحديد النسل لاسباب اقل واضعف من الاسباب التى يجدها الناس اليوم ، بل هى الى جوارها لاتعد سببا ولامبررا ولا حجة ولا ذريعة .

يجد القوم هذا وكثيرا غيره ويقرءونه ويحفظونه وقد يكتبونه للناس فاذا جاء مشكل او سئلوا عن قضية من قضايا العصر لم يجد الناس عندهم حلا لهذا المشكل ولا حكما نافعا فى القضية سوى ان يفتحوا كتابا ليتلوا ما فيه ، ثم يريدون ان يقسر الناس انفسهم على ان يعيشوا فى ظل ما يعتقد القوم انه احكام الشريعة وان غيره ليس منها . او يصيحون ــ داخل الحجرات ــ ويغضبون ويحوقلون ويسخطون ، لان « الناس » تركوا الشريعة . . !

والامر الثانى الذى جعلنى اكتب هذا المقال هو كلمات قراتها لواحد من رجال « الفكر » » الدينى هؤلاء يقول فيها : . . **اما نحن فمنهجنا يقضى بان يقف الاسلام ثابتا فى موضعه لتنقل الى رحابه المدنية الغربية ، وعلى المدنية الغربية ان تعدل نفسها لتقف فى رحاب الاسلام متطامنه الراس ملمومة الاطراف . . !**

فالشيخ لا يريد من المسلمين ان يتقدموا الى المدنية الغربية ولا ان يكيفوا حياتهم على اصولها ولا ان يتاثروا بها اقل التاثر ، بل يريد ، او يامر ، ان تجيء « المدنية الغربية » خاشعة خافضة الراس تلملم اطرافها كما يلملم العبد ــ ايام زمان ــ ثيابه امام سيده ، تواضعا وتصاغرا وذلا ، الى حيث يقف « فهم الشيخ » عن الاسلام شامخا مستكبرا مترفعا فى موضعه .. عساه ان يقبلها فى « رحابه » . . !

ولا اجد تعليقا على ما يقوله الشيخ من ان اذكر له ولقومه هذه القصة القصيرة من عقائد الهنود الحمر : هذه القصة التى تقول ان من الخرافات التى كان « يعتقدها » بعض قبائل الهنود الحمر فى امريكا ان كسوف الشمس سببه ضعف النار التى تشتعل فيها . لذلك كان الرجال الحمر من هذه القبيلة يحملون رماحهم ويعلقون فيها خرقا مشتعلة، ثم يقذفون الرماح الى اعلا . .! وبعد قليل من الزمن او كثير ينتهى الكسوف ويظهر قرص الشمس ويسطع نورها كما كان ، فيفرح الهندى الطيب الذى « يعتقد » اعتقادا لا تلابسه ذرة من الشك فى ان رماحه المشتعلة هى التى اعادت للشمس نورها ونارها وللنهار بهاءه وضياءه . .!

لذلك بعض القوم من رجال الدين .

« محمود الشرقاوى »

التربية الاشتراكية

بقلم أحمد فؤاد عبد الجواد

قضيتنا اليوم متعددة الجوانب . قضية مجتمع يتحول فكريا وعقائديا وواقعيا من صورة الى صورة اخرى . هذا التحول يقتضى اعادة النظر فى تربية جميع الأفراد على شتى المستويات . ومما يزيد القضية تعقيدا أن حوالى ٧٠٪ من مجموع الشعب اميون بالمعنى الأبجدى أى لا يقراون ولا يكتبون .

واول سؤال يتردد فى هذا المجال أين كنا ؟ وكيف أصبحنا ؟

لقد كانت بلادنا محتلة وجلا عنها المحتل . كنا مستعمرين وأصبحنا مستقلين . كنا غرباء فى بلادنا واصبحنا نشعر – لأول مرة – أننا أصحاب البلاد الأصليين نتصرف فى امورنا بكامل حريتنا ووفق مشيئتنا . كان الاستعمار ينهب خيراتنا ومواردنا ثم أصبحنا نقوم بأنفسنا باستغلال أرضنا وبترولنا ومياهنا بل وتدير قناتنا ادارة عربية صميمة . كنا نصدر قطننا ونعاود شراءه مصنوعا ، وأصبحنا نصنع قطننا بأيد عربية خالصة ، ونصدره – اذا شئنا – مصنوعا . كان الاقطاع ورأس المال يسيطران على الحكم لصالح فئة قليلة ، وأصبح الشعب يحكم نفسه بنفسه لنفسه . كنا عبيدا واصبحنا أسيادا . كنا تابعين وأصبحنا قادة . كنا ذيولا تسير فى الركب ، واصبحنا قادة فى الطليعة تحمل الشعلة تضىء الطريق . كنا أذلة ، واصبحنا كرماء . كان صوتنا خافتا لا يكاد يسمع ، وأصبح عاليا مدويا يملأ الآفاق . لم تكن لنا أهداف واضحة، واصبح لنا أهداف محددة . لم تكن لنا سياسة نسير عليها ، واصبحت لنا سياسة مرسومة . كان البرلمان يمثل الاقطاع ورأس المال ، واصبح لدينا مجلس أمة نصفه من الفلاحين والعمال اختاره الشعب وفق ارادته . كان الفلاحون ملكا لصاحب الأرض ، وأصبحوا مالكين لهذه الأرض . كان العمال تروسا فى عجلة الانتاج ، وأصبحوا يديرون هذه التروس ؛ يمثلهم أكثر من عضو فى مجلس ادارة المصنع ، ودخل العمال الوزارة ، وأثبتوا كفاءتهم . كانت المرأة تابعة للرجل ، ونص الميثاق على مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، ونالت حقوقها السياسية ، واحتلت المناصب القيادية ، ودخلت مجلس الأمة ، وتحملت اعباء الحكم ، وثبت نجاحها .

كنا دولة مستضعفة ، واصبحنا قوة يعمل لجيشها حساب . اصبحنا دولة تصون ولا تبدد تحمى ولا تهدد ، تاخذ بيد الضعيف ترد كيد المعتدى .

لقد خضنا فى سبيل ذلك معارك طاحنة مع الاستعمار وأعوان الاستعمار ، مع الرجعيين والاقطاعيين ... مع التركة المثقلة التى خلفها لنا استعمار سنين طويلة ... لقد واجهنا تحديات كثيرة تغلبنا عليها جميعا .

والسؤال الثانى الى أين نسير ؟

لقد تحولنا فى السنوات الاثنى عشر السابقة من حال الى حال يحتاج لشرحه صفحات وصفحات . لقد انتهينا من مرحلة التحول الثورى العظيم بنجاح عظيم . لقد أرسى رئيسنا عبد الناصر أسس ومبادىء نسير عليها فى المرحلة القادمة ؛ مرحلة الانطلاق العظيم . ولمرحلة الانطلاق أهداف محددة لخصها الرئيس فى ثلاث :

١ – هدف التنمية المتواصلة اى خطة شاملة تهدف الى مضاعفة الدخل تليها مضاعفة ثانية ، وهكذا .

٢ – هدف الديموقراطية ، وتوسيع اطارها باستمرار وتعميق مضمونها اى استكمال بناء تنظيم الاتحاد الاشتراكى .

٣ – هدف الوحدة العربية الشاملة .

وطبيعى أن تعترض طريقنا بعض المشكلات التى بصرنا بها الرئيس والتى لا بد أن نجد بالتجربة المقبلة حلولا لها ، وهذه المشكلات هى

١ – مشكلة الزراعة ، وضرورة تطويرها لتفى بدورها فى التقدم الوطنى .

٢ – مشكلة الصناعة الثقيلة . مشكلة التمويل والبناء .

٣ – مشكلة ثلاثة ملايين أو يزيد من العمال الزراعيين فى الريف .

٤ ــ **مشـــكلة الأداة الحكومية • مشـــكلة البيروقراطية •**

٥ ــ **مشكلة الأسعار •**

٦ ــ **مشكلة تنظيم الأسرة •**

٧ ــ **مشـــكلة التعود على النقد والنقد الذاتي الشجاع •**

والسؤال الثالث كيف تواجه القضية ؟

وتتلخص الاجابة على هذا الســـؤال في كلمة واحدة هي « **التربيـة** » • والتربيـة تهـدف الى « **التوعية** » • وكما قلنا ان القضية تقتضى اعـادة النظر في تربية جميع الافراد على شتى المستويات تربية الصغار والكبار •

ولا نعنى بتربيـة الكبـار هنـا محو أميتهم الأبجدية بأن تحيلهم الى أناس يقرأون ويكتبون ، ولـكن نعنى أن تغير من سـلوكهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم ، يتســاوى في ذلك الذى يحمل أعلى المؤهلات والذى يحمل الفاس يضرب بها الأرض •

اننا مررنا بمرحلة تحول ، ونحاول الآن أن نؤكد ما وصلنا اليه • والتحول يعنى التغير من حال الى حال أحسن • كذلك التربية عملية تغير • عملية حية متصلة تتم في سلسلة خبرات متصلة • وكل خبرة تؤدى الى خبرة أخـرى مفيدة وهـكذا يتفق التحول مع التربية في أن كلا منهما يهدف الى التغير• تغير كل من المجتمع والفرد • كل منهما يهدف الى التطور الى الأحسن •

ان مرحلة التحول تســتهدف الديموقراطية والاشتراكية والتعاونية وايجابية المواطنين • وفى مرحـلة الانطلاق تعنى الديموقراطيــة الحـرية السياسية وتعنى الاشــتراكية الحرية الاجتماعية وتكافؤ الفرص •

كذلك التربية الحديثة تستند الى الديموقراطية والحرية الاجتماعية وتكافؤ الفرص • كما تقـوم التربية على ايجابية الطلاب وتعاونهم بعضـهم مع البعـض الآخر من ناحيــة ومع المعلمين في حل المشكلات التى تصادفهم في أثناء الدرس والتحصيل من ناحية أخرى •

ان التربية الحديثة تقوم على أصول علمية وعملية تستخدم فيها الأبحاث والاحصائيات ، وكذلك الحال في مرحلة الانطلاق يجب أن تقوم على أصول علمية وعملية تستخدم فيها البحوث والاحصائيات •

ان التربيـة الحديثة تهـدف الى بنـاء الأفراد وتنشئتهم مواطنين صالحين لكل منهم خصائصه ومميزاته ، كذلك مرحلة الانطلاق تعتمد على مواطنين صالحين لكل منهم خصائصه ومميزاته •

اذن فالتربية الحديثة يمكن أن تخدم مرحلة الانطلاق العظيم بمدها بالمواطنين الصالحين الأكفاء منهم الفلاح والعامل والموظف والراسمالى الوطنى •

والسؤال الآن ما السبيل الى ذلك ؟

ان أسلوب التربية له اهميته في تحقيق الأهداف المنشودة ، وكذلك من يقوم بالتربية سواء كان من بين المعلمين أو الرواد أو القادة أو الكتاب ورجـال الفكر • فالواجب تجنيد كل الكفاءات المؤمنـة بالرسالة الواثقة في نفسها وفى قيادتها المحبـة لها • فان أول ما تعتمد عليه التربية الاشتراكية هو ايمان من يقوم بها وثقته في الرسالة التى يهدف الى تحقيقها • ان التربية الاشتراكية أسلوب قبـل كل شيء ••• أسلوب عمل مؤمن وليس كلامـا يقال • ان التربية الاشتراكية عملية ذوبان ••• ذوبان المعلم والطالب ••• والكاتب والقارىء •• والفنان والناظر الى فنـه ••• والرئيس ومرءوسه ••• والعامل ومدير المصنع ••• والجندى والقائد ••• ذوبانهم جميعا في أهداف الاشتراكية ، وفى أسلوب تحقيق هذه الأهداف •

وتحقيق ذلك كله يحتاج الى تنظيم دراســات اشتراكية ••• يحتاج الى جهود الاتحاد الاشتراكى وجهود المسئولين ••• يحتاج الى تضـافر هـذه الجهود وبذلهـا عن رغبة صادقة ••• يحتاج الى اقبال الشعب أفرادا وجماعات على الدراســات الاشتراكية • ان اقبال الأهالى يتحقق لا شك اذا ما توافرت الجدية والنظام في هذه الدراسات •

ان الدراسات الاشــتراكية تحتاج الى وجود معاهد اشتراكية • وهذه المعاهد لن تكلفنا شيئا اذا ما استغلت الجامعات والكليات والمعاهد العالية والمدارس والمساجد والكنائس والوحدات المجمعة والوحدات الصـحية ومقار النقابات والجمعيات والاتحادات النسائية والنوادى والمصانع • ويمكن

استخدامها في المساء أو النهار حسبما يقتضى التنظيم ٠

ويجب ان توضع مناهج خاصة لطلاب هذه المعاهد الاشتراكية تشتمل على الاشتراكية العربية وثورة ٢٣ يوليو والديموقراطية والمجتمع العربى والتعاون والميثاق والقومية العربية والجغرافيا ومشكلات المجتمع والاقتصاد وعلم النفس ٠

والخطوة الأولى فى التنظيم هى اختيار بعض رجال الجامعات والمعلمين والرواد والكتاب ورجال الفكر وغيرهم ممن يلتمس فيهم الكفاءة والاخلاص للدراسة بالمعهد الاشتراكى على يد كبار القادة كنواب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء والوزراء والأساتذة المتخصصين ، وعلى سبيل المثال يختار من كل مدرسة معلم أو اثنان ومن رجال الوعظ بالمحافظة واحد ومن المحامين واحد أو أكثر حتى يقوموا بواجبهم الذى يتفرغون له بعد انتهاء تدريبهم ٠

ان التربية الاشتراكية لازمة لجميع المستويات ؛ فيجب اعداد برامج تربوية على مستوى رجال الجامعات والمعاهد العليا والكليات ورجال القضاء ومديرى الشركات والمؤسسات ومديرى العموم ورجال البحوث العليا مثلا ٠٠ المركز القومى للبحوث العلمية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وتنفذ هذه الدراسات بالجامعات تحت اشراف كبار القادة أيضا ٠

كما تنظم دراسات وبرامج على مستوى طلبة الجامعات والمعاهد العالية والكليات ومراكز التدريب ويشرف على هذا البرنامج رجال الجامعات والمعاهد العالية الذين سبق لهم حضور البرنامج ٠ هذا وقد تقرر تدريس المجتمع العربى وثورة ٢٣ يوليو والاشتراكية العربية ضمن مناهج الدراسة بالجامعات والمعاهد العالية والكليات ٠ ولكن هذا لا يمنعنا من تنفيذ المناهج الخاصة بالمعاهد الاشتراكية فى دراسات خاصة بالاضافة الى ما يدرسونه الطلاب من مقررات دراسية ٠

ويقوم وكلاء الوزارات ومديرو العموم ومديرو المؤسسات والشركات بتنفيذ البرنامج على مستوى موظفى وعمال الوزارات والمؤسسات والشركات والمصانع التابعة لها ٠

ويقوم المحافظون بالاشراف على تنفيذ البرنامج على مستوى المحافظات وخاصة العمال والفلاحين ويمكن استخدام دور العمد والوحدات المجمعة والوحدات الصحية والمدارس ٠ ان طلاب الجامعات والمعاهد العالية يمكن الاستفادة بهم فى نشر التوعية الاشتراكية عن طريق الاتحادات الطلابية ٠

ان اهتماما خاصا يجب أن يوجه لتوعية الفلاحين والعمال ؛ فهم يمثلون الغالبية العظمى للشعب ٠ فيجب ان يعى الشعب معنى الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ٠ يجب أن يمارس الشعب هذه الحريات بطريقة عملية ٠ يجب أن يعيش الشعب الاشتراكية ليتعرف على مدلولها ٠ يجب أن يحيا الشعب الديموقراطية ليتذوق مفهومها ٠

ان أجهزة الراديو متوافرة فى كل مكان حتى اننا نشاهد « الترانزستور » يحمله الكثيرون فى الشوارع والنوادى والمزارع ٠ ان الاذاعة يمكن أن تلعب دورا خطيرا فى التعريف بالاشتراكية والديموقراطية ٠ ان فاعلية الاذاعة تتضح فى أنها للجميع سواء عرفوا القراءة والكتابة أو جهلوها ٠ كل هذا يؤكد أهمية دور الاذاعة ، تؤثر على مستمعيها عن طريق الكلمة المسموعة أى عن طريق الأذن ؛ فان التليفزيون يؤثر على المشاهدين بالأذن والعين ٠ ان التليفزيون يجمع بين الكلمة والصورة مما يكون له أعمق الأثر فى نفسية المشاهدين ٠ ان البرامج التليفزيونية يمكن أن تحتوى على أحاديث وتمثيليات ومسرحيات هادفة توضح للناس مفهوم الديموقراطية والاشتراكية ، وتبصر الناس بالوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف فى مرحلة الانطلاق العظيم ٠ ولقد بدأ التليفزيون يغزو معظم البيوت مما يدفعنا الى بذل كثير من العناية والاهتمام بالبرامج التليفزيونية ورفع مستواها ان الأغنية الجماعية التى ينوى المسئولون ادخالها ما هى الا محاولة للوصول الى ادخال مفهوم جماعية العمل ، وفائدة ذلك ٠ اننا يجب أن نهتم بكلمات الأغنية قبل اهتمامنا بشكل الأداء سواء كانت فردية أم جماعية ٠ ان البرامج التعليمية يجب أن تتطور الى برامج اشتراكية هادفة ٠

ان دور السينما وما تعرضه من أفلام تسهم فى التغير الاجتماعى ٠ ان مرحلة الانطلاق التى نمر بها تحتاج الى أفلام تعليمية خاصة ٠٠٠ أفلام

اجتماعية تعكس واقع حياتنا . ان تاريخنا وكفاحنا يمكن أن يكون مادة سينمائية . ان السد العالى مثلا مادة حية يمكن أن تدور حولها قصة كفاح مصرية صميمة توضح معنى العمل والانتاج ، معنى العمل المشترك بين العمال والمهندسين ، معنى الكفاح والارادة الحرة . ان انتاجنا السينمائى يجب أن يتجه الى تحقيق الاهداف التى ننشدها ، ومعالجة المشكلات التى تصادفنا .

وتشهد البلاد هذه الأيام نهضة مسرحية شاملة ؛ فتكونت كثير من الفرق المسرحية والفرق الاستعراضية . وينبغى أن تطرق هذه الفرق الموضوعية التى تعالج مشكلاتنا وترسم لها الحلول المناسبة ... يجب أن تكون الموضوعات قومية تحررية ... وهذا الاتجاه يمهد الطريق لظهور الكاتب الاشتراكى .

ان وسائل النشر كثيرة متعددة . كالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والكتب والنشرات . كل هذا يمكن أن يؤثر على القارىء ويؤدى الى نتائج بعيدة المدى . ان الصحف والمجلات فى مرحلة الانطلاق العظيم يجب أن تهتم بنشر الوعى الاشتراكى وتبسيط المفاهيم والمبادىء التى تقوم عليها الديموقراطية والاشتراكية . عليها أن تنشر الأخبار التى تهم العمال والفلاحين متحرية الصدق فى القول والأمانة فى العرض . يجب أن تلقى الأضواء على قصص كفاح العمال والفلاحين ، وتتجنب الخوض فى قصص طلاق وزواج فلان وعلان يجب أن تعمل على اذابة الفوارق بين الطبقات بالمقال والكلمة ، وبالقصة والخبر .

ان الصحافة منبر الرأى الحر ، والكلمة المنطلقة .

ان واجب الصحافة أن تنشد النقد الذاتى البناء وأن تتجنب الهدم أو اطلاق الاشاعات . اننا فى حاجة الى النقد الهادف حاجتنا الى الماء والهواء حتى نصلح من عيوبنا وحتى نعدل من سلوكنا الى السلوك الاشتراكى الصحيح .

ان الصحافة سلاح ذو حدين ، فيمكن لها أن تؤيد ، ويمكن لها أن تعارض . وهى التى يمكن أن تخدم القضية التى تهدف اليها ، وفى الوقت نفسه يمكن أن تعمل ضدها . ويجب على الصحافة ان تكون صاحبة مبدأ تترسم الخطى الاشتراكية مؤيدة للأهداف التى ننشدها ، كما يجب أن تعرض المشكلات التى تصادفنا على الرأى العام وتبسط له وسائل حلها أو التخفيف من حدتها .

ان الكتب وما تحوى من مقالات وقصص يجب أن تكون صورة لما يحدث فى المجتمع ، تعكس آمالنا وآلامنا .

ان وسائل الاعلام عميقة الأثر بعيدة الخطر فى نشر التوعية الاشتراكية . ان العبرة ليست بالكلام أو القول . انما العبرة بأسلوب التنفيذ . ان الديموقراطية أسلوب حياة يجب أن يمارسه المواطنون بطريقة عملية . ان الاشتراكية طريقة حياة يجب أن يحياها المواطنون . ان الميثاق نص على ان لكل فرد حقوقا وعليه واجبات . اننا يجب ان نهتم فى مرحلة الانطلاق العظيم بتادية ما علينا من واجبات بقدر مطالبتنا بالحقوق . يجب ان يعرف الشعب أن طريق الاشتراكية والديمقراطية طريق ينطلق فيه متحررا من الخوف واليأس .

« أحمد فؤاد عبد الجواد »



المفسدون في الأرض

بقلم: أحمد فتحي بهنسي

قال الله تعالى :

« من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما أحيا الناس جميعا » .

يستدل بعض المفسرين على أن المفسدين في الارض يستحقون القتل من أجل الفساد في الارض .

وفي الواقع أن الاصل في الشريعة الاسلامية أن القتل قد يكون واجبا أو مباحا ، أو محظورا .

اما القتل الواجب :

١ ـ فهو قتل أهل الحرب من المحاربين قبل أن يصيروا في أيدينا بالأسر أو بالأمان أو بالعهد . وذلك في الرجال منهم دون النساء اللائي لايقاتلن ودون الصغار الذين لا يقاتلون فاذا قاتل النساء يقتلن وذلك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهن خرجه البخاري ومسلم والائمة . أما الصبيان فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية خرجه الائمة كلهم . فان قاتل قتل حالة القتال . فاذا زال القتال قال البعض تقتل المرأة كما يقتل الصبي وقال البعض لا يقتلان وقال آخرون تقتل المرأة لما فيها من المنه والعفو عن الصبي لعفو الله عنه في مسائل الذنوب .

٢ ـ وقتل قطاع الطريق المحاربين ، رجالا كانوا أم نساء اذا خرجوا ممتنعين وقتلوا وصاروا في يد الامام قبل التوبة .

قال تعالى : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

٣ ـ وقتل أهل البغي اذا قاتلوا أهل العدل .

قال تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله . فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين .

٤ ـ وقتل الساحر والزاني المحصن رجما .

عن جندب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي والحاكم وصححه .

فمن سحر فانه يقتل بالسيف وعليه بعض الصحابة والتابعين ومالك وأحمد وقال مالك : انه كافر بالسحر فيقتل ولا يستتاب فان توبته لاتقبل ، وقال الشافعي : لايقتل الا اذا عمل في سحره مايبلغ به الكفر والا فلا . وهذا كله اذا لم يقتل بسحره . فاذا قتل بسحره ففيه القصاص عند الشافعية . كل ذلك من أجل فساده في الارض .

٥ ـ كل قتل وجب على وجه الحد .

أما القتل المباح :

١ ـ فهو القتل الواجب لولي الدم على وجه القصاص فهو مخير بين القتل والعفو . يدفع القاتل للامام لينفذ عليه ما يشاء هو فالقتل هنا ليس بواجب .

٢ ـ قتل أهل الحرب اذا صاروا في أيدينا فالامام مخير بين القتل والاستبقاء قال الله تعالى: ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم .

قال ابن عباس « حتى يثخن في الأرض » وذلك يوم بدر ، والمسلمون قليل ، فلما كثروا قال الله : « فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » فخيرهم الله تعالى . وهكذا قال كثير من المفسرين بعده فاذا انتهت الحرب وأسر الكفار فللأمير أن يفعل ما فيه المصلحة للمسلمين من اطلاق سراح الأسرى من غير شيء أو على أخذ الفداء منهم أو قتلهم .

اما القتل المحظور :

١ ـ القتل عمدا في دار الاسلام بلا موجب

شرعی • وعلى القاتل القصاص قال الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما •

ولابى داود والنسائى • كل ذنب عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا او قتل مؤمنا متعمدا •

٢ ـ وتجب الدية فى قتل شبه العمد وقتل الأب ابنه وقتل الحربى المستأمن والمعاهد ، والقتل العمد الذى تدخله الشبهة يسقط فيه القصاص وتجب الدية •

روى أبو داود وأحمد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد • ولا يقتل صاحبه ، وبه قضى عمر •

كما روى أبو داود والنسائى : ألا ان دية الخطا شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الأبل منها اربعون فى بطونها أولادها •

٣ ـ ويجب التعزير فى ضروب أخرى من القتل هى :

(ا) قتل المسلم فى دار الحرب قبل أن يهاجر الى بلاد المسلمين •

وقال البعض : لا شىء على القاتل الا الكفارة • وقال أبو يوسف : عليه الدية فى الخطا ، وعند الشافعى عليه الدية مع الكفارة فى الخطا والقصاص فى العمد واحتج بالعموميات الواردة فى باب القصاص والدية من غير فصل بين مؤمن قتل فى دار الاسلام أو دار الحرب •

(ب) قتل الأسير فى دار الحرب من المسلمين •

فلو قتل رجل من المسلمين فى دار الحرب ، فان كان قبل القسمة فلا شىء فيه من دية ولا كفارة لأن للامام فيه خيرة القتل ونرى ان فيه التعزير لافتيات القاتل على حق الدولة •

وان كان بعد القسمة أو بعد البيع فيراعى فيه حكم القتل لأن الامام اذ قسمهم أو باعهم فقد صار دمهم معصوما فكان مضمونا بالقتل الا أنه لا يجب القصاص لقيام شبهة الاباحة •

(جـ) قتل المولى لعبده الا اذا قتله غيلة فانه يقتل به • على تفصيل بين الفقهاء، لا نرى داعيا الى الدخول فيه •

القتل تعزيرا :

التعزير تأديب على ذنوب لم يشرع فيها الحد وهو مجموعة عقوبات يلاحظ القاضى عند توقيعها على المجرمين أن يتخير ما يناسب كل فرد بحسب ما اذا كان من أهل الجريمة أو ليس من أهلها • ويتدرج فى العقوبات فيبدأ بالأخف فالأشد • فمن المجرمين من يتصلح حاله بمجرد الزجر وقارص القول ومنهم من لا ينزجر الا بحبسه او ضربه أو توقيع أشد العقوبات عليه •

وعلى ذلك فالقاضى يجتهد فى التعزير بحسب المصلحة وعلى قدر الجريمة قال الامام مالك : لاحد لأكثره فيجوز للامام أن يزيد فى التعزير على الحد اذا رأى المصلحة فى ذلك ، لما روى أن معن بن زائدة عمل خاتما على نقش خاتم بيت المال ثم جاء به لصاحب بيت المال فأخذ منه مالا فبلغ عمر ذلك فضربه مائة وحبسه فكلم فيه فضربه مائة أخرى فكلم فيه فضربه مائة ونفاه •

وروى الامام أحمد باسناده أن عليا أتى بالنجاشى الشاعر قد شرب خمرا فى رمضان فضربه ثمانين للشرب وعشرين سوطا لفطره فى رمضان •

انما مثار البحث : هل يجوز أن يصل هذا التعزير الى القتل ؟

ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى أحوال ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق •

كما توجد أحاديث أخرى نص فيها على القتل فى غير هذه الحالات الثلاث مثل :

١ ـ عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به • رواه أصحاب السنن •

٢ ـ قتل شارب الخمر اذا اعتاد ذلك • فقد

تواردت الروايات على أن شارب الخمر يقتل فى الرابعة • عن الترمذى وأبى داود عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه •

٣ ـ قتل السارق اذا اعتاد ذلك •

روى عن عطاء وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز ان سرق الخامسة قتل •

٤ ـ قتل من يزنى بذات محرم عن الترمذى والنسائى وأبى داود أن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : مر بى خالى أبو برده بن نيار ومعه لواء فقلت أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ان آتيه برأسه •

وعن عبد الله بن عباس : أن الرسول قال : من وقع على ذات محرم فاقتلوه • فالأصل فى جريمة الزنا فى الشريعة أن عقوبة من يرتكبها ان كان غير محصن أى لم يسبق زواجه « الجلد مائة جلدة والنفى مدة عام ـ وان كان محصنا فجزاؤه الرجم اى القتل رجما بالحجارة » الا انه فى الحالة التى ورد بها الحديث أتى الرجل فاحشة تخالف النواميس الطبيعية فكان جزاؤه القتل بصرف النظر عما اذا كان محصنا أم غير محصن •

وقد يوجد من عتاة المجرمين من لا يزول فساده الا بالقتل ولا يلحقه حد من الحدود التى تجيز القتل فهل يجوز للقاضى أو ولى الأمر تعزيره بالقتل ليكف أذاه عن الناس ويرتدع به غيره ؟

يرى البعض أنه يجوز للامام التعزير بالقتل ويستدلون برأى مالك وبعض أصحاب احمد بجواز قتل الجاسوس المسلم اذا اقتضت المصلحة قتله ورأى مالك وبعض أصحاب الشافعى وأحمد فى قتل الداعية الى البدعة كالتجهم والرفض وانكار القدر للفساد فى الأرض لا للارتداد عن الدين • وقد صرح بهذا الرأى أصحاب أبى حنيفة فى قتل اللوطى اذا أمعن فى ذلك تعزيرا •

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو فى سفر فجلس مع أصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اطلبوه فاقتلوه قال : فقتلته فنفلنى سلبه • رواه البخارى وأبو داود •
قال ابن تيمية :

وقد يستدل على أن المفسد اذا لم ينقطع شره الا بقتله فانه يقتل ، بما رواه مسلم فى صحيحه ، عن عرفجة الأشجعى رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » • وكذلك قد يقال فى أمره ، بقتل شارب الخمر فى الرابعة ، بدليل مارواه احمد فى المسند عن ديلم الحميرى رضى الله عنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله انا بأرض نعالج بها عملا شديدا ، وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا ، فقال : هل يسكر ؟ قلت نعم : قال : فاجتنبوه • قلت ان الناس غير تاركين قال : فان لم يتركوه فاقتلوهم » • وهذا لأن المفسد كالصائل ، فاذا لم يندفع الصائل الا بالقتل قتل •

والحقيقة أن المصلحة العامة تقتضى أن يعزر ولى الأمر بالقتل فهناك من المجرمين طائفة تخصصت فى أنواع من الفساد تضر به الأمة فى أموال ونفوس أبنائها ولا تلحقهم نصوص الحدود التى تستأصل شأفتهم ويلزم أن تشدد عليهم العقوبة التى تبعدهم عن المجتمع السليم حتى يطمئن الناس على أمنهم •

« احمد فتحى بهنسى »

أغنية للعيد الأخضر

للشاعر: يس الفيل

اصعد . فدرب الصاعدين معطر   اصعد .. فان الدهر خلفك يخطر
اصعد .. فاعوام الصعود وريقه   درجاتها مهج ـ بزحفك ـ تفخر
درجاتها اصرار جيل لم ينم   الا ليشعلها لظى يتفجر
جيل اقام على العزيمة صرحة   اليوم فى ساح الجهاد يكبر
حسبوه من طول التهجد غافلا   يا طول ما قد ارجفوا وتهوروا
ما كان صمت الريح فوق جدارنا   الا الدثار .. لثورة تتسعر
والصمت قد يغرى .. فيطمع طامع   أفلم تروا ؟! ان كان لا .. فتذكروا
اغرتهمو سبعون عاما حملت   بذنوب أكباد هوت تتفطر
اغراهمو صمت الوجود بأفقنا   ناسين ما للصمت حين يعمر
ناسين رد الفعل حين تقوده   نيران قرن فى الحنايا تزفر
وشهدت « يا يوليو » انطلاقة امة   ورايت شطآن الضياع تدمر
واليوم .. فى وهج الشموع . ألا ترى   أن الفداء بارضنا يتكرر ؟؟
انظر .. فهذا العيد رمز ملاحم   خفيت .. ومثلك بالملاحم يفخر

* * *

اصعد .. اخى ـ فالمعجزات رهينة   بالصاعدين وبالذين تحرروا
اصعد .. فان الصرح صرح بطولة   ارجاؤه بالمعجزات تنور
عشر مضت .. واثنان تلحق ركبها   والدهر بالعام الجديد يبشر
والدهر اذ يمضى لينظم عقده   حقبا .. سينقل ما رأى ويصور
سيقول للأجيال ان يد القوى   عصفت بمن خدعوا الشعوب وغرروا
عصفت بآمال الظلام ولم تزل   اشلاؤها فى « بور سعيد » تخبر
عصفت بالاستعمار والخور الذى   كم ساند الاقطاع وهو يعسكر
عصفت بمن سلبوا الأجير حياته   وبمن أحالوا القوت كاسا تسكر
سيقول للاجيال : ان يد القوى   بنت البناء ـ وعن قريب ـ يثمر
سيقول : عن وهج الحديد بارضنا   ويد من الفولاذ فيه تطور
سيقول : عن صاروخنا ، عن جيشنا   عن قرية من الف ذنب تطهر
سيقول : عن «صعدا» ويكتب عن دم   فوق «الجزائر» .. ان تسعة الأسطر
اصعد .. الى قمم تلوح .. وهامة   شماء .. لا تكبو ولا تتعثر
اصعد .. مع الزحف الكبير الى غد   زاه .. فنت بنور « سدك » أجدر
ودع الخيال على شواطىء عطره   يرنو الى مستقبل يتخطر
سترى .. أتدرى اى ملحمة ترى   خلف الليالى ان سبحت فتخبر ؟
لتعود « يا يوليو » فتشهد يقظة   عربية فيما ترى وتقرر
ان كان عيدك أخضر ـ فبأفقنا   عيد الملايين الأبية يظهر
عيد العروبة : فى رحابك وحدة   بعد الاله لها الشعوب تكبر

العدالة الإجتماعية وكيف تتحقق؟

بقلم : مصطفى عوض

قرأت فيما قرأت من بين موضوعات مجلة الرسالة العدد ١٠٦٨ الخميس ٢ يوليو ١٩٦٤ م٠ موضوع العدالة الاجتماعية للسيد الاستاذ الدكتور محمد احمد خلف الله وقد أبان سيادته أن العدالة الاجتماعية من الاهداف البعيدة للتخطيط الاجتماعي وأن التخطيط الذى لا ينتهي الى تحقيق هذه العدالة الاجتماعيةانما يكون تخطيطا قد ضل طريقه وانحرف عن غايته وأصبح الى الاستغلال الراسمالي أقرب منه الى أى شيء آخر ٠

وضرب سيادته مثلا لذلك يوضح ان الزيادة فى التقدم الاقتصادى أو فى الانتاج يجب أن يتقاسمها جميع السكان وبخاصة الذين أذلهم الحرمان وأضناهم الجوع والفقر ٠

وهنا أريد أن أوضح أنه لتوخى العدالة الاجتماعية كهدف بعيد للتخطيط الاجتماعى أن يكون قائما على فلسفة اجتماعية قوامها العناصر الآتية :

١ ــ أن يكون التخطيط من أجل المجموع لا من أجل قلة مسيطرة

٢ ــ أن يخضع التخطيط لتيار القوى الاجتماعية

٣ ــ اعتماد التخطيط على الحاجات الاجتماعية

وقد اختلفت الآراء فى تحديد المقصود بهذا المجموع ، هل هو مجموع المواطنين من الناحية العددية أم هو جميع فئات المجتمع دون اغفال لأى فئة منها مهما تضاءلت قوتها دون أن يعنى ذلك الاجماع فى كل فئة ؟ ولكل من الاتجاهين فلسفته ٠ فبينما يميل أصحاب الرأى الاخير الى الأخذ بفكرة الواقعية السياسية والاجتماعية باعتبار أن الكائنات الانسانية متفاوتة فى امكانياتها وخصائصها البيولوجية والسيكلوجية ٠ كما أنها تختلف فى ترتيبها لحاجاتها فى سلم الاهمية مما يجعل الاجماع مسالة بعيدة المنال فى التخطيط الاجتماعى ولهذا يذهب أصحاب هذا الراى الى القول بأن التخطيط ينبغى أن يكون من أجل رفاهية فئات المجتمع جميعا ويقولون ان العدالة الاجتماعية تقتضى التضحية ببعض الحاجات الثانوية من أجل الحاجات الاساسية ومن هنا أيضا وجبت التضحية بالاقلية من أجل الاكثرية اذا استلزم الامر ذلك ٠

ويذهب أصحاب هذا الرأى الى القول بأن العيب لا يوجه الى الفلسفة التى ينتهجها هذا النوع من التخطيط وانما العيب الفعلى قد يرجع الى النظام الاجتماعى نفسه ٠

بمعنى ان المجتمع فى ذاته ينقصه التقارب بين طبقاته فى قدراتهم وحاجاتهم مما يؤدى الى اتساع الهوة التى تفصل بين المواطنين ويجعل من العسير ربطهم فى وحدة واحدة أو الفوز باجماعهم فى تأييد خطة بعينها ، لان هذا التفاوت الشاسع يجعل ما يمكن أن يعتبر فى مصلحة احدى الطبقات هو الظلم والعبودية بعينهما بالنسبة لطبقات أخرى ٠

فاعتبار المجموع هو الاكثرية العظمى لكل فئة من فئات المواطنين اتجاه يميل الى تقدير الطبقات الكادحة الاكثر عددا ولكنها أقل ثراء ٠ اما الطبقة الاقل عددا والاقل ثراء فان اغفالها أو على الاقل وضع حاجاتها فى ترتيب متأخر فى سلم الاهمية لا يعتبر نوعا من الظلم الاجتماعى بل هو تأكيد لمقتضيات العدالة الاجتماعية ٠

اما أصحاب الرأى القائل ان التخطيط للمجموع يعنى شموله لكل فرد من أفراد المجتمع وعدم

الاقتصار على الاغلبية النسبية لكل فئة من فئاته ـ على نحو ما ذهب اليه استاذنا الجليل ـ ينادى بفكرة المساواة المتناهية •

وهى فكرة لاتؤدى الى الغرض المنشود من التخطيط الاجتماعى بقصد تحقيق العدالة الاجتماعية بل تؤدى الى استمرار كل طبقة فى الاحتفاظ بالحقوق التى حصلت عليها وهذا معناه الا يقوم التخطيط من اجل الاغلبية الكادحة فحسب بل من أجل جميع افراد المجتمع وترجع جذور هذا الاتجاه الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث تصدى له كثير من المفكرين الاحرار وأطاحوا بهذا الاتجاه

ومن أكثر المعارضين لهذا الاتجاه الفيلسوف سان سيمون واتباعه حيث يقولون انه يجب الانتهاء من القضاء على النظام القديم أى القضاء على الحق الممنوح لشخص فى ان يعيش عالة على اقرانه وحق استغلال الانسان لأخيه الانسان •

ويذهب سان سيمون فى مؤلفه عن «اعادة تنظيم المجتمع الاوربى » الى القول بأن التطور التاريخى للملكية يؤكد ان نظم الملكية تسير دائما وفقا للمستوى العقلى والعلمى فى كل عصر فالملكية تعبر فى كل مرحلة من مراحل التاريخ عن «معانى مختلفة • ففى العصر الاقطاعى الحربى مثلا كانت الملكية تنتقل عن طريق الميراث لانها قامت على الحروب والسلب والاغتصاب أما اليوم فان الملكية يجب أن يحصل عليها الفرد نتيجة لميزاته الشخصية لا نتيجة لمولده او لعنصره لان توارث الثروات ينتهى بالسيطرة والتحكم فى ملكية وسائل الانتاج التى تؤدى الى استغلال الطبقة العاملة وهذا ما لا يتفق مع طبيعة العصر ولا مع الدور الفعال الذى تؤديه الطبقة العاملة فى السير بالمجتمع فى طريق التقدم •

ولهذا يرى سان سيمون أنه « لا يمكن وجود اى تغيير فى النظام الاجتماعى دون أن يحدث تغيير فى نظام الملكية • فقانون التقدم الذى تتجه نحوه الانسانية يميل الى اقرار نوع من النظام الذى ترث فيه الدولة ـ لا الاسرة ـ من الثروة ما يطلق عليه رجال الاقتصاد « جوهر الانتاج » وهو لا يحدث نتيجة لشيوع فى الثروة ولا نتيجة لتحديد فى المقدرة على التملك ولكن نتيجة لحق جديد هو حق كل فرد تبعا لمقدرته ولكل مقدرة تبعا لما تحققه من اعمال •

وهذا يعكس ما جاء فى العبارة الآتية للسيد الاستاذ الدكتور نحو قوله « ليس معنى العدالة الاجتماعية أبدا ان نجعل الاغنياء فقراء ولا أن نجعل الاغنياء عاجزين عن ان يكونوا أكثر غنى وانما معناها أن يتقدم الفقراء نحو مستوى المعيشة الافضل بسرعة أكبر من الاغنياء حتى لا يظل التفاوت الكبير بين الاغنياء والفقراء قائما •

ومعنى ذلك أن السيد الدكتور يرى أنه لا بد أن تعطى الفرصة فى مجتمع اشتراكى للاغنياء أيضا لكى يزدادوا غنى ـ كيف يكون ذلك !!؟

ولهذا ترى المدرسة السان سيمونية أن الملكية يجب الا تظل ملكية فردية • بل يجب أن تصبح ملكية اجتماعية حيث تكون الدولة وحدها هى المالك وحيث تقوم بتوزيع الدخل على كل فرد بحسب مقدرته حتى يتم توزيع الانتاج على كل فرد بحسب عمله •

كما يرى سان سيمون واتباعه ان التخطيط هو السبيل الوحيد الى تحقيق العدالة الاجتماعية ولا يمكن أن نحقق هذه العدالة الا فى ظل تخطيط يقوم على أركان ثلاثة

١ ـ جميع النظم الاجتماعية يجب أن تهدف الى تحسين المستوى الاخلاقى والجسمانى والعقلى للطبقة الاكثر عددا والاشد حرمانا

٢ ـ جميع المزايا المكتسبة عن طريق المولد يجب ان تزول بدون اى استثناء •

٣ ـ يجب أن يمنح كل فرد بحسب قدرته وان يعطى لكل قدرة حسب انتاجها •

وهنا يكون التخطيط موجها لصالح المجموع وأن تدخل الحكومة لا يمكن أن يكون امرا متعارضا مع الحرية الشخصية لان المجتمع لا يتفكك ولا ينحل عندما يحكم اكثر من اللازم •

وبهذا يمكن القول بأن العنصر الاساسى فى فلسفة التخطيط الاجتماعى هو ان يهدف الى صالح المجموع بالمفهوم الآتى :

١ ـ أن تكون الخطة نابعة عن حاجات ملحة معترف بها •

٢ ـ أن توجه لصالح الفئات الاشد حرمانا •

الثورة عند هاشم الرفاعي

بقلم: عبد الرحمن البجاوي

لقد ترك للمكتبة العربية الشاعر الشهيد « هاشم الرفاعي » ديوانا خالدا ، يضم ما نظم فى حياته التى لم تتجاوز خمسة وعشرين ربيعا ، هـذا الديوان الزاخر بالخفقات التى تصور مقدار ايمان الشاعر بعروبته وبوطنيته ، ومقدار اعتزازه بالدعوة الى مناهضة الاستعمار فى كل بقاع العالم ، ثم مباركته طلائع التحرير الزاحفة من أحراش افريقيا ومن اواسط آسيا ، مبشرة بميلاد الحرية ، وانتصار رسالة السلام والحب والاخاء .

وقد ولد هاشم فى (انشاص) بمحافظة الشرقية عام ١٩٣٥ ، والتحق بمعهد الزقازيق الدينى عام ١٩٤٧ ، ثم كلية دار العلوم سنة ١٩٥٥ ، وفى القاهرة ابتدأت حياة الشاعر تكون تكوينا جديدا ، واتسعت آفاقه ومداركه ، وأخذ صوته يجلجل فى رحاب الكلية ومن فوق منابر الشبان المسلمين ، والغورى ، ونادى القصة ، ونادى الطلبة الوافدين .. ودوت أصداء الشاعر فى كل منتدى واجتماع ، فلقب بشاعر الثورة ، والبحترى الصغير ، والبارودى الجديد ، الى غير ذلك من الالقاب التى أطلقها أساتذته وناقدوه .

ولم يكد عيد الثورة السابع يبتسم فجره حتى كان الغدر يترصد لشاعرنا الموهوب ، فسارعت يد اثيمة ، واغتالته فى غبش الظلام فى الثانى من يوليو سنة ١٩٥٩ وافتقد العالم الأدبى شاعرا ساهم بقلمه فى معركة العروبة والكفاح ..

وسنحاول أن نتحدث عن جانب من شعره الذى يعتبر صورة صادقة لحياة فرد وحياة أمة ، صورة لفرد ذابت روحه حبا للوطن، وآمنت بالمثل الكريمة التى تسعى جاهدة لتقويض صرح البغى ، وازاحة كابوس الظلم والطغيان ، وصورة لأمة كانت تقاسى من جراء الحكام المستبدين الويل والهوان ، ومن عبث العابثين الذين لم يكن لهم هم الا استنزاف موارد الفقير، وتسخير الفلاح والضرب بالسياط حتى تدمى الجلود كما عبر هاشم عن هذا فى احدى قصائده :

---

٣ ـ أن تهدف الى تعديل جوهرى فى نظم ثبت فسادها

٤ ـ أن يحقق المساواة الفعلية لا المساواة المتناهية

٥ ـ أن يحول الصراع الطبقى الى تعاون واستغلال الانسان لأخيه الانسان الى استغلال لقوى الطبيعة من اجل صالح الانسانية جمعاء .

وهنا يقول الميثاق الوطنى بصدد عدالة التوزيع ان الامر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى تقرب يومه .

والطريق الاشتراكى ـ بما يتيحه من فرص لحل الصراع سلميا وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات يوزع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبدأ تكافؤ الفرص .

ويجدر الاشارة كذلك الى ما قاله السيد الرئيس جمال عبد الناصر من خطاب لسيادته فى المؤتمر العام للاتحاد القومى ٩ يوليو ١٩٦٠ ما كان يمكن أن تكون هناك خطة اقتصادية دون هدف اجتماعى بل لقد كان يمكن أن تؤدى الخطة الى عكس المقصود منها اذا كان الاهتمام يوجه الى ناحيتها الاقتصادية مجردا من كل وعى اجتماعى كانت الخطة فى تلك الحالة لا تصنع الا أن تزيد الاغنياء غنى وتزيد الفقراء فقرا وتزيد بالتالى الهوة التى تفصل بين الذين ملكوا الغنى بالوراثة وبين الذين لم يملكوا بالوراثة غير الفقر وبالتالى يضيع أساس الاستقرار الوطنى الوحيد وهو العدل الاجتماعى كذلك فقد كان مستحيلا بدون خطة اقتصادية واجتماعية فى نفس الوقت أن تطور الخدمات العامة كما طورنا وسائل الانتاج .

« مصطفى عوض هلال »

كم غاصب ارضا لهم ، بسياطه
دميت جلود الهبت وظهور

وهـذا الجانب هو الثورة ... تلك الثورة التى أخذت عنده مظاهر شتى ، فالباحث فى شعره يجد ثورة على الأزهر ، وثورة ضد الملك الفاسد ، وثورة ضـد المستعمرين ، وثورة على الشعر الحر .. وفى هذا المقال سنلقى ضوءا على ثورته على الملك السابق أولا ، وعلى الاستعمار وأعوانه ثانيا :

أما ثورة (هاشم) على الملك السابق فقد كانت تسرى فى دمائه منذ نعومة أظفاره ، ولم يكن يخشى فى الحق لومة لائم ، وجاهر بعصيانه وتمرده على الذات الملكية ، كما يتضح فى قصيدته « عقيدة » التى يقول فيها :

حب البلاد عقيـدة اشربتهـا
من ثدى امى حين كنت رضيعا
فاذا دعتنى للكفاح عقيـدتى
لبيت داعيهـا الكريم سريعا

الى أن يوجه نداءه فى نفس القصيدة الى حماة النيل ، ويدعوهم الى الثورة على « ابن نازلى » فيقول:

يا فتيـة النيـل المجد انـنا
نابى ونرفض ان نساق قطيعا
هذا (ابن نازلى) للهلاك يقودنا
جهرا ، ويلقى فى البلاد مطيعا
فالى متى هـذا الخضوع وانه
جرم..اضاع حقوق مصرجيعا؟!

وقد كانت للملك السابق فى أنشاص اقطاعيات واسعة ، فيها يسخر الفلاحون ، ويسكبون العرق الغزير تحت لفح الهاجرة ، فى حين أنهم كانوا محرومين من كل لذة ، لهم الشوك وللحاكم الثمار !

الغرس غرسهم وقـد روى الثرى
عـرق لهم فوق الجباه غزير
عمـلوا له حتى بدت اثمـاره
ما بال من لم يشق فيه يجور ؟!

ويحزن الشـاعر ما يلاقيـه الفلاحون من ظلم واعنات ، ويتحدث عن القصور التى كانت مرفأ آمنا للجوارى والغزلان ،وكيف تعج بسهرات حمراء الى أن غادرها ابليس مذموما مدحورا قال هاشم :

حـكم الكنانة خائن مستهتر
طاغ بشـان بلاده لم يحفـل
ان شيد للاصلاح صرح كرامة
يسعى الى هدم البنـا، بمعول
سائل هناكالقصر عنرب الهوى
والليل ، كيف نهاية المستبذل

ويستمر الشاعر فى حديثه عن القصر وكيف أنه كان مرتعـا للهو والعبـث كل ليـلة ثم ماذا كانت النهاية ؟

تلك الرياض الناضرات كانهـا
عدن ، بهـا من كل واد مبقل
ابليس غادرهـا رجيمـا انه
لم يرع حق المنعم المتفضـل

وأما ثورة الشاعر الكبرى على الاستعمار فنجده فيها شاعرا رحب الآفاق يتخطى حدود وطنه ويغزو آفاقا بعيـدة مطالبا بالحرية والعـدالة ، ناقمـا على الأعداء ، وتبلغ قمة ثورته فى رائعته الخالدة (رسالة فى ليلة التنفيـذ) التى فاز بهـا فى المجلس الأعلى للفنون والآداب، والقاها فىالمهرجان الأول بدمشق، فعرفه المهرجانشاعرا خصب الخيال، رائع الديباجة، قوى التصوير ، مؤمنا بثورته التى تعتبر فى أصلها ثورة على الظلم وصـكا مكتوبا بدم الشـهيد يدين العدالة الزائفـة فى شريعة الغاب ... وقبل قيـام ثورتنا الحبيبة كانت كتـائب الفدائيين تزحف نحو معسكرات الاحتـلال ، وكان موقف الحكومة سلبيا تجاه هذه الطلائع آنذاك ممـا حدا بشـاعرنا الذى سرى بروحه مع الفـدائيين أن يتهـكم بمفاوضـة الحاكمين فقال فى قصيدته « جهاد ضائع » :

سئم الفـؤاد الزور والتضليـلا
لا نرتضى غـير الجهـاد سـبيلا
قالوا : مفاوضة ، فقلت لهم : متى
اجدت مفـاوضة اللئـام فتيـلا ؟

وأخذ يعرض جرائم المستعمرين ويندد بهم ، ولم يجد وسيلة سـوى تجريد السيف حتى يتم الجلاء .. وكان مؤمنا بأن الحق لا بد أن تؤيده القوة فقال :

دع السيف يبدى الحق لو كان خافيا
فما مثله ان شـئت للحق قاضـيا
وخضبـه لا ترحـم عـدوا فانه
لـورد دم الأعداء قـد بات صـاديا
اضر به طـول الأوام ، مزوه
الى ان يرى فى الـكف احمر قانيـا
ارانا اذا لم نطلـب الحـق بالظبى
فلسنا على الأيام نلقى الامانيا

وفي أيام العدوان الثلاثي نجد شاعرنا مؤرق الوجدان ، لا يهدأ باله ، ولا يطيب رقاده ، وذلك حينما سمع دوى القنابل، وانطلاق المدافع ، وأزيز الطائرات ، وسبح في سبحات الخيال واستوحى قصيدته « معركة القناة » التي تعتبر نفثة صادقة لوجدان شاعر التهب بلهيب المعركة ، واكتوى بشواظها ، فثارت نفسه ، معلنة سخطها على الأعداء، مؤمنة بنضالنا البطولي في « بور سعيد » واستهل قصيدته قائلا :

بمدفعه المغرور قد صال واعتدى
وراح علينا بالقذائف واغتدى
واغرى بنا عند الحدود كلابه
وارسل للعدوان يضرب موعدا
يحاول بالتهديد اذلال أمة
والقاء شعبفي القيود وفي الردى

ويسترسل الشاعر فيحديثه عن ملحمة بورسعيد التي كتبت بدماء الشهداء حتىيصل الى بيت القصيد في نهاية حتمية يؤكدها الكفاح المستميت فقال :

وكانت لهم « دنكرك » اخرى ولم تكن
(كباريس) للالمان صيدا معبدا

ويعرج على القناة التي حفرت بدماء أجداده ، ويدعو على هؤلاء المخربين قائلا :

قناتي ، وفي ارضي ، وجدى لحفرها
اكب على الصحراء بالفاس مجهدا
وفوق ثراها فاض ماء جبينه
وادمى له جلاده الظهر واليدا
فلا صلحت هذى القناة ، ولا جرت
بحاجات قوم لا يمرون سجدا

وكلنا يعلم كيف كانت هذه الانشودة تدوى وتملأ الأسماع بنغماتها العذاب والتى صاغ منها الشاعر (محمود حسن اسماعيل) .

انا النيل مقبرة للغزاة
انا الشعب نارى تبيد الطغاة
انا الموت في كل شبر اذا
عدوك يا مصر لاحت خطاه

ويساهم (هاشم الرفاعي) بقلمه في معركة التحرير الجزائرية التي شنها الشعب الجزائري بشبابه الناشع ضد الفرنسيين الخانعين الذين كانوا يصبون اقسى الوان العذاب بالابرياء والوادعين ، ويقسم شاعرنا بأن الفجر سيحين بعد ، وان افراح الحياة لا بد ان ترقص فوق ذرا (اطلس) وكأنه كان يبصر ما في سماء الغيب ، فلم تمض أعوام حتى تحررت «الجزائر الثائرة» التي قال عنها :

بهواك ، بالدم فوق تربك يا جزائر
يجرى ، وينبع من حشاشة كل ثائر
بشهيدك الملقى على سفح المجازر
بالسخط يغلى في القلوب وفي الحناجر
بالرابضين على القمم
الثائرين على الظلم
سنفجر الأضواء في تلك الدياجر
وتسيل افراح الحياة على المقابر

وقد اتبع شاعرنا احيانا نظام الرسائل الشعرية التي صاغ « نزار قباني » رسائله — من الشعر الحر — في معركة السويس .. اخذ هاشم هذا النظام فصور في « رسالة من افريقية » علىلسان احد جنود الاعداء ما يلاقيه هؤلاء من عدم الثقة. بجهادهم الضائع ، ورغبتهم الاكيدة في الجلاء عن ارض افريقية العذراء التي دوت في ارجائها اصداء الحرية ، ولنستمع الى حديث الجندى الذيىقول في نبرة كلها لوعة وحسرة وأسى :

اوليس يكفينا لكى نحيا نتاج المزرعة ؟ !
حتى أصب على اخى سوط العذاب لاخضعه
ويقض حينا مضجعى واقض حينا مضجعه
واعيش مغتربا هنا بين الرماح المشرعة
ياتى الطعام الى فمى
مرا تلوث بالدم
واصوغ من آلام قوم جنة للمترفين
الحالمين ، وثورة البركان تهدر من سنين

ونمضى مع شاعر الثورة المبدع الذى سبح بوجدانه في آفاق العروبة واخذ يرقب ببصيرة نفاذة احوال الأمة العربية ، وكيف ان الاستعمار يتربص بنا الدوائر ، ويركز جهوده على مأساة فلسطين التي تشرد اهلها في بقاع العالم .. ومن هنا نظم « وصية لاجىء » التي يحث فيها والد ولده على عدم البكاء والترعزع أمام نكبات الدهر وأرزائه ويطلب منه ألا يسمح لدموعه أن تذرف يوما ما وان كان قد بكى يوما فلما حمل من ثكل وغربة فيقول :

كانت لنا دار ، وكان لنا وطن
الفت به أيدى الخيانة للمحن

وبذلت فى انقاذه اغلى ثمن
بيدى دفنت اخاك فيه بلا كفن
الا الدماء ، وما الم بى الوهن
ان كنت يوما سكبت الأدمعا
فلأننى حملت فقدهما معا
جرحان فى جنبى : لكل واغتراب
ولد اضيع ، وبلدة رهن العقاب

ويساهم (هاشم) بجهوده فى المؤتمرات الدولية التى كانت تعقدها مصر لارساء دعائم السلام ، فنجده ينظم قصيدة طويلة فى مؤتمر (باندونج) وللأسف لم تنشر هذه القصيدة كاملة فى الديوان المطبوع وانما فى (شعر الثورة فى الميزان) جـ ٢ للدكتور احمد احمد بدوى مما يدعو الى النظر مرة اخرى فى مخلفات الشاعر الباقية وتلك القصيدة مطلعها :

سنا امل ملء الربى والمعالم
واشلاء ليل غاله الصبح قاتم

وكذا نجد شاعرنا فى المؤتمر الآسيوى الافريقى الذى عقد بالقاهرة ١٩٥٨ يصوغ درة خالدة يبشر فيها بميلاد فجر السلام ، ويتحدث عن أواصر القربى والرحم بين ابناء القارتين ـ آسيا وافريقيا ـ وكيف أننا وقفنا وقفة رجل واحد ضد قوى البغى بمختلف الوانه واجناسه فيقول :

فى آسيا وعلى جديب رمالها
شهد الورى ميلاد شعب واع
نبت الهدى والحق فى جنباتها
وجرى الضياء على لسان الداعى
وكما يسيل الفجر سال النور من
هدى السماء على ربا وبقاع
ومشت مواكبه وفى ايمانها
آى تبلغها الى الاسماع
من كل صنديد تضم ضلوعه
احساس قديس وقلب شجاع
وكسا الضباب الارض فى افريقيا
ما بين غابات بها ومراعى
بسطت ذراعيها لتحتضن السنا
طبا يخلصها من الاوجاع

الى ان يقول :

فاذا الوجوه السمر من ابنائها
تطوى خضم البحر فوق شراع

وتدك خلف الماء عرش محكم
فى الناس او ملك هناك مضاع

وحسبنا هذا القدر من الشعر البطولى الرائع الذى يتحدث عن مشاعر الامة وما يجول بخاطرها ، ويتحدث عن أصداء ثورتنا فى أقطار العالم العربى ، فى السودان ، والجزائر ، وفلسطين ، ومصر ، وكيف أفلح شاعرنا فى رصد الحوادث واقتفاء خطوات القادة وقوافل الثور التى تسير نحو السلام الذى يعمل له :

انى لأعمل للسلام ولغرس أزهار الوئام
الله يشهد ما بذرت بذور شر فى الظلام
لكننى آبى لأرضى ان تذل وان تضام
هذى يدى ، فيها الاخاء ، وفى يدى الاخرى سهام ،
فالود منى للصديق ، وللعدا الموت الزؤام.

وفيما سبق من القصائد نجد موقفين لهاشم الرفاعى :

احدهما : موقف تجديدى يتجلى فى مثل قصائده (رسالة من افريقية ، ووصية لاجىء ، والجزائر الثائرة) وهو هنا يقتفى نهج (على محمود طه) ويحافظ على الموسيقى الداخلية للأبيات ، وازدواج القوافى ، وتقسيم القصيدة الى مقطوعات كل منها بقافية تختلف عن الاخرى ، كما نلاحظ عنايته بالالفاظ وانتقائها وتجويد التراكيب والصور الشعرية .

الثانى : موقف كلاسيكى يتجلى فى محافظته على الوزن والقافية وهذا شائع فى قصائد كثيرة وهو وان كان محافظا من ناحية الشكل الا انه جدد مضمونا كما يتضح للباحث فى ديوانه . .

وقد اوجزنا الحديث فى ثورته على الملك الفاسد وكذا ثورته على الاستعمار بكافة الوانه واشكاله . . ثم كيف كان ناقما على الاوضاع الفاسدة ، ومشاركا فى الزحف الثورى مع الطليعة الزاحفة من كتائب الفدائيين ، ولا غرابة فى هذا اذا ماعرفنا ان شاعرنا كان على موعد مع القدر ، فولد مع الثورة العربية الكبرى ، وشاهد آثار ثورتنا المباركة فى قارتى آسيا وافريقيا ، ثم استمد طاقات خلاقة من هذه الانتصارات الرائعة ، فاودعها فى ديوانه الوحيد الذى تركه ولم يعلم انه سيعرف النور يوما . . حتى أصدره المجلس الاعلى فى طبعة فاخرة واقام حفلة تأبين له . . رحمه الله .

« عبد الرحمن البجاوى »

الرئيس وتبعات الرئاسة

للشاعر : على الجندى

حامل هم بنى يـ   عرب : من دان ونساء
جاهد فى حكمه الما   دل . والحكم شقاء
تبعات شيبت فوديـ   ه . شان الحكماء
ولبعض الشيب نو   ر ، ووقار وبهاء
الفتى « المصرى » باسا   و « الصعيدى » اباء
و « الصلاحى » اعتزاما   حين يحمر العداء
والذى يصدع بالحـ   ق ، ويابى الافتراء
والذى ينطق بالفصـ   ـل اذا اشتد المراء
والذى بالراى منه   فى الدياجى يستضاء
والذى اعماله تغنيـ   ـه عن كل ادعاء
والذى شاد لنا الـ   سد لتحظى بالرخاء
والذى يمضى اماما   ليس يدرى ما وراء
والذى يهجم كالضيـ   ـغم من حيث يشاء
والذى كان « لصهيو   ن » من الحمق دواء
والذى بانت لـه « مايـ   ـسر » من بعض الاماء
والذى راس ابن « غريو   ن » لنعليه وطاء
والذى ايامه نصـ   ـر وعز وعلاء
والذى ليلاته سـ   ـهد وجهد وعناء
وليالى غيره رقص   وخمر ونساء
والذى اخلاقه عطف   ولطف وحياء
المصلى الطيب الطا   هر فى ظل الفناء
وجمال الدين والد   نيا وزين الأتقياء
وحبيب الشعب والشـ   ـعب يحب الأقوياء
رحماء النفس والقلـ   ـب الرعاة الأمناء
عاش للعرب زعيم الـ   ـعرب خفاق اللواء
كى نرى فى عهد الزا   هر عهد الخلفاء

« على الجندى »

الفجر الخالد

للشاعر ابراهيم عبدالحميد عيسى

الى فجر ثورتنا العربية فى عامه الثانى عشر

يا اخى ما عـــاد يخفينا الحلك   كل نور فى سمانا لى ولك
كم صروح شدت .. لكن لم تجد   بين مـا شـــيدت الا طللك
فزرعنا السحب نارا ولظى   ثم أمطرنا أسانا فهلك
ومحا الفجر تهاويل الدجى   ارأيت النـــور لما قبلك ؟
وعلى الشاطىء قامت نخلة   تبذل الخير وترعى جدولك
والضحى شلال نور فانطلق   واحمل الفاس وحرك مغزلك
واسبق الوهم الى دنيا غد   ثم هىء فى الحنايا منزلك
يا اخى ما عـــاد يخفينا الحلك   كل نور فى سمانا لى ولـك

***

شدت امجادى بروح مؤمنة   تنزع الشوك وتبقى السوسنة
وجراد النور فى كف الضحى   تسكب الدفء وترعى موطنه
وانثنى الاسلام يبنى بلدا   فيه للناقوس كف محسنه
وحد النيل خطانا للعلا   ورعت صوت الصليب المئذنه
كم شهيد رسم النصر لنا   بدمـاء وجراح مثخنه
فالتقينا فى طريق واحد   ومشينا فوق هام الأزمنه
وزرعنا النور فى كهف الدجى   ورفعنا فى سمانا المدخنه
والربيع الطفل لما ابصرت   عينه مجد بلادى لحنه

***

من أنين الفاس فجرنا الصراع   من جراح الأمس . والسوط المطاع
اغرس الأرض .. ويجنى خيرها   سارق اغرق فى دمعى الشراع
قلبه كالليل .. حقد ومتاع   مترف العيش باحلام الجياع
كفه مغلولة . الا على   ذمة تشرى واخلاق تباع
فوثبنا بجحيم عاقل   حطم البغى .. ومزقنا القناع
فبدا فى كفه ظفر .. وفى   وجهه ناب ولؤم وخداع
بلدى ... ياصحوة النور التى   ايقظت فى خاطر الفجر الشعاع
من دموع الجوع فجرنا الصراع   من جراح الكوخ شتتنا الضياع

***

ثم اطلقنا الى العرب يدا   فسرت تحمل حبا وندى
والتقينا فوق أرض حرة   سيدا يلقى عليها سيدا
جمعتنا وحدة شعبية   وأقمنا من هوانا معبدا
يارفاق المجد مدوا كفكم   فلدى وثبتنا يفنى المدى
كم كسونا الدهر من امجادنا   وسبقنا بخطانا الأبدا
واشرأبت دفقة النور الى   امة تبنى وتطوى الأمدا
وفرشنا القلب حبا .. وعلى   جبهة الشمس ضربنا موعدا
لاتقولوا فى غد موعدنا   نحن اطلعنا مع الفجر غدا

ملامح أدبنا الثوري

بقلم
كمال نشأت

أثر الثورات في تطور الأدب أثر واضح مطرد يلمسه الناقد في النتاج الأدبي الذي يحمل الخصائص الجديدة للتغيير الجذري الذي تحدثه الثورة في المجتمع المنتج لهذا الادب • وليس من شك في ان لفظة ثورة وما تحمل من معنى الفوران المناقض للهدوء ، وما توحي من تغيير في الأسس وارساء الجديد منها يمتد ليشمل نواحي الحياة جميعا • والثورة السياسية التي تقوم لتغيير اوضاع وتصحيح قيم وبث مبادئ واعية واصلاح عيوب ورفع مستوى تحدث من الانقلاب في حياة الامة ما يدفع ملهميها الى التأثر بالوضع الجديد ثم التعبير عن روحه الجديدة الواثبة الى امام ابدا •

***

واذا رجعنا الى الثورات التى قامت وهى تستهدف اصلاحا ورقيا وتصحيحا لأوضاع خاطئة ، نجد أنها أحدثت دروبا أدبية جديدة واتجاهات رائدة تحمل خصائصها وتستعلن بها • وليست الثورة الفرنسية ببعيدة عنا ولا ثورة ١٩ التى كانت تجميعا لقوى العرب المصريين والتى انتفضت مرة ثانية فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ • وليس يكفى أن تطلق القول فنقول ان ثورة ٢٣ يولية أثرت فى الادب العربى الحديث فى مصر دون أن نبين الى اى حد نجحت هذه الثورة فى استهداف رسالة اصلاحية مست الوضع الجذرى للمجتمع المصرى ، فمن المعروف أن الأدب هو الصورة الصادقة لنفسية الأمة وحالتها الاجتماعية ، والمقارنة بين الاتجاهات التى نشأت بعد الثورة والاتجاهات التى كانت سائدة قبلها تبين الى أى حد استطاعت هذه الانتفاضة الشعبية أن تغير من اوضاع مجتمع كانت أسسه ترتكز على الفساد بألوانه المختلفة ومن ثم كيف استطاع الأدباء الترجمة عن هذه النقلة النفسية فى حياة أمة ناهضة •

على أننا اذا أحببنا أن نضع ثورة ٢٣ يولية فى الميزان لنحدد بالضبط مدى النجاح الذى أحرزته فى سبيل تحقيق الأهداف التى تطلع اليها الأدب العربى فى مصر منذ منتصف القرن التاسع عشر وجدنا أن الرجوع الى تاريخنا القريب أمر لا مفر منه ، فمنذ الانتفاضة الشعبية الاولى التى تزعمها أحمد عرابى والتى كتلت المصريين لأول مرة ووحدتهم خلف زعيم فلاح من أبناء الشعب الى ثورة ١٩ كانت الطبقات الشعبية قد بدأ ادراكها ينمو نتيجة لانتشار التعليم ونشأة الصناعات التى قامت أثناء الحرب العالمية الاولى لسد حاجة البلاد الى ما انقطع استيراده من البضائع ، الا أن هذه الثورة لم تحقق أهدافها الوطنية بل أدت الاحداث الى زيادة الارتباط بين طبقة الاغنياء وبين المستعمرين على حساب الحركة الوطنية • ويذهب باحث الى أن ثورة ١٩ لم تحقق أهدافها الوطنية فحسب بل هى لم تؤثر فى الادب التقليدى السائد ابان قيامها • فالدكتور ابراهيم سلامة يقارن بينها وبين الثورة الفرنسية التى أنتجت الادب الرومانتيكى فيقول ان الثورة الفرنسية عملت على هدم الطبقة الارستقراطية واغلقت نواديها الادبية وسعت الى تقليل الحواجز بين الطبقات ، فدفع كل ذلك بالادباء الى الاعراض عن الادب القديم والاتجاه الى الرومانتيكية • اما ثورة ١٩ فكانت تطالب بحريتها من المستعمرين لا من طبقة السراة ، فدعاها ذلك الى التمسك بقوميتها والاعتزاز بتراثها فلم تصنع شيئا ولم تغير اتجاه الادب المحافظ فظل كما هو • واذا كانت ثورتا عرابى وسعد زغلول قد فشلتا لأسباب خارجة عن ارادة زعيميهما فى تحقيق الاهداف الوطنية واذا كانتا لم تؤثرا تأثيرا واضحا فى الادب العربى المعاصر فقد حققت ثورة ٢٣ يولية – وهى ثمرة هاتين الثورتين – أمنيات المصريين جميعا • وكانت بعض هذه الامنيات من المعجزات كطرد الاحتلال ممثلا فى الجيش الانجليزى الرابض فى أرض الوطن ، كما انها حققت مكاسب أخرى كان لها تأثيرها فى نفسية الشعب وبالتالى فى نفسية المترجمين عنه كتابا وشعراء • ولقد كانت مصر قبل هذه الثورة – كما نعرف جميعا – مباءة الرشوة والظلم والاضطهاد •• وكان الفساد ينمو كالسرطان والاحتلال يجثم قرير العين لما يرى من هذا الانهيار ، ففقد المصريون الثقة بأنفسهم ، وبمستقبلهم ، وتقوقعوا داخل اهتماماتهم

الفردية ، فانتشرت الانانية والوصولية وكثرت الجعجعة بالشعارات الوطنية الزائفة • ونتيجة لخيبة الآمال المعلقة على زعماء السياسة والاحزاب وانتهاء ثورة ١٩ الى عدم تحقيق مطالبها الوطنية ران على المصريين جو من اليأس دفع بادبائهم الى احضان أدب فردى يائس ••• نفس الشيء الذى حدث فى فرنسا بعد انهيار نابليون وخيبة الآمال المعلقة عليه ، فقد أحدثت هذه الخيبة فى نفوس الفرنسيين ما جعل الفريد دى موسيه يقول (**وانشطر المجتمع الى فئتين •• فئة من النفوس المضطربة المتزجعة التائقة الى المثل العليا ، فكان أبناؤها يحنون الرأس ويبكون متلفعين باحلامهم المؤلمة ، وفئة كانت مؤلفة من رجال المادة والشهوات يقفون بلا مبالاة على ركام الملاذ ، ولا هم لهم غير احصاء الاموال التى حشدتها اطماعهم وكان الشعراء يتغنون بالخيبة وعثرات الآمال ••)**•

وفى مثل هذا الجو المريض وجد أدباؤنا أنفسهم فارتموا فى أحضان الرومانتيكية التى تأخذ الفردية فيها مكان الاساس والارتكاز، وبالغوا فى احساساتهم وخيالاتهم ولجأوا الى الطبيعة يبثونها آلامهم ومزجوا الحب الذى يمجدونه بصور الطبيعة الام كما كانوا يقولون •

***

وليس من شك فى ان هذا الاتجاه هروب من واقع الحياة ، وهو هروب يعتبر من الناحية النفسية متنفسا للأوضاع الخاطئة فى المجتمع ولخيبة الآمال التى اصطدمت بها نفس الشعب ممثلة فى وجدان أديب ، واذ بأدبنا يتزعهذا المنزع الهروبى، وتشارك حركة الترجمة فى تضخيم أجوائه فلا يلتفت المترجمون الا الى القصص العاطفية الرومانتيكية ، وبعد أن كان الاديب رائد الجماعة ومحمسها ، والمعبر عنها كما فعل الشاعران حافظ وشوقى، أصبح الجيل الذى تلاهم فردى النزعة رومانتيكى الاتجاه ، يلعق جراحه ويغنى آلامه فى صمت حزين وعرف اتجاههم بالتمزق النفسى والفردية المسرفة •

وقامت ثورة ٢٣ يوليو وارست قواعد جديدة تخطط للمستقبل القريب بعد أن غيرت أسس الحياة الفاسدة ، وكانت أهم هذه التغيرات التى لعبت دورها النفسى كنقطة ارتكاز لبعث أدبى جديد ••

ازالة الملكية الفاسدة •• وقيام الجمهورية الاشتراكية الديمقراطية ، وطرد الاحتلال الانجليزى •• وتأميم قناة السويس •• وانهاء سيطرة رأس المال على الحكم •• والقيام بالمشاريع الاقتصادية لرفع المستوى الاقتصادى للشعب • واذ بمصر خصوصا بعد صمودها أمام العدوان الثلاثى يملأ اسمها صحف العالم ويجرى على أفواه الناس فى أرجاء الارض واذ بالمصريين يستردون ثقتهم بأنفسهم ، واذ بهم يعملون لغد قريب مرموق ، وتهز الحياة الجديدة وجدان الادباء وما زالت تهزهم •

***

وكما انتفض الوجدان المصرى منطلقا ثاريا لاهبا أثناء العدوان الثلاثى ممثلا فى القصائد والاناشيد والاغانى الشعبية انتفضت مواهب الادباء المنتجين فشاركوا فى هذه الحياة الجادة البناءة معبرين عن آمال الشعب وتطلعه الى مستقبل باسم ، وابتدأوا يخطون مرحلة ثرية للادب العربى تحمل خصائص الروح الجديدة وتتجلى فى ترك الادباء التغنى بأمجادنا القديمة وتغنيهم بأمجادنا الحاضرة ، كما ظهرت الواقعية الجادة والبعد عن السبحات الرومانتيكية بعد أن رأى الادباء مواطنيهم يعيشون واقعهم ويبنون بسواعدهم مجدهم ، فقرب الادب شعرا ونثرا من أرض الواقع الخشنة فكانت الواقعية التى سايرت يقظتنا الثورية ، وكان الاتجاه الشعبى – بعد أن تبلورت اتجاهات الثورة الشعبية فيما اتخذ من قوانين للارتفاع بالطبقات الفقيرة والاهتمام بالفنون الشعبية والادب الشعبى – وقد تبلور هذا الاتجاه فاذا بالاديب كاتبا وشاعرا يهتم بحياتنا الشعبية فى المدن المكتظة وفى القرى الضاربة فى أعماق الريف ، وان كانت القصة بامكانياتها أكثر نجاحا فى تصوير هذه الحياة من القصائد التى تعرضت لوصفها والتعبير عنها •

وكان لابد لهذه الشعبية التي يسجلهـا الادب شعرا ونثرا من أن تكون الوانها التي تحدد خطوطها على اللوحة التي اختارها الفنان شعبية مثلهـا هي الاخرى ، فاذا بالاسلوب البسيط السـهل واذا بالالفاظ المالوفة الجارية على الألسنة تاخذ مكانها في العمل الادبي ما دامت تؤدي مهمتها في دقة وضبط وكان تحطيم ثورة ٢٣ يوليو لطبقة الارستقراطية تحطيم للادب الارستقراطي الذي كان يهـدف الى تسلية السادة دون أن يعنى كاتبوه بتصوير الحياة الزاخرة التي تمنح الخير ٠٠ حياة الشعب المكافح الصابر الجاد ٠٠ ومن مظاهر الادب الثوري الجديد أيضا انتهاء أدب النفاق والمجاملات ، ففي زحمة هذه الحياة الهادرة المنطلقة الى الأمام دون معوقات ، وخلال هذا الاتجـاه الذي يعني بالشـعب فيصور حياته وامانيه ومشكلاته في ثقة ومحبة وتفـاؤل بأسلوب أقرب الى لغة الحياة ، لم يعد هناك موضع لأدب يقوم على تزوير الاحساسات والكذب والنفاق ، واصبح الاديب رائدا وقائدا فكريا وحاديا للركب الصـاعد ومثيرا للهمم بعد أن كان تابعا لعظيم يرصد حركاته وسكناته ، فاذا عاد من سفر هنأه بالعود الحميد واذا أقبل عيد هنأه أيضا بالعيد السعيد ٠

وبذلك انتهى أدب الشحاذين الذي ظلت رواسبه تظهر في دواوين بعض شعرائنا بانتهاء المجاملات الكاذبة والارستقراطية المحتكرة للأدب ٠

ولاشك أن قيامنا بانشاء السد العالي وماسيترتب عليه من تعمير وتصنيع سيحدث انقلابا في حياتنا الاقتصادية وبالتالي في حياتنا الفكرية ، فمجتمعنا سيتحول الى مجتمع صناعي له ايديولوجيته الخاصة، ولهذا أثره في الانتاج الادبي ٠

وليس من شك أيضـا في أن اهتمـام الدولة بالادب والادباء ممثلا في انشاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وقيام اتحاد الادباء وتخصيص جوائز سنوية تشجيعية وتقديرية وتنفيذ مشروع التفرغ واقامة المسابقات للادباء الناشئين والمهرجانات الشعرية الدورية ٠٠ دفع للأدب الى الامام وتشجيع للمتتجين من الادباء ٠

« كمال نشأت »

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرأ في مجلة الثقافة

● أضواء على السياسة العالمية	**خيري حماد**
● مظاهر الانعزال في الأدب قديما	**محمد فريد أبو حديد**
● عاصفة في قلب عبقري	**د . نظمي لوقا**
● عشر صور من قلعة مارتن لوثر	**عبد المنعم شميس**
● فن التعبير	**دكتور محمود فهمي**
● دريني خشبة رائد الثقافة المسرحية ــ الذي نفتقده	**فرغلي التوني**
● من قضايا الموسم المسرحي	**سمير التنداوي**
● الباحث عن الحقيقة	**محمد فكري**
● جورج أبيض آخر الممثلين الكلاسكيين العرب	**محمد السيد شوشة**
● المسرح الأيرلندي وشون أوكاسي	**عبد الله محمد فريد**
● بداية معركة (قصة)	**محمد المندي محمد**

لمحة عن الأدب والفن في غرب افريقيا

بقلم : صديق شيبوب

استيقظ الوعي القومي في غرب افريقيا بعد أن تطور التعليم فيها عقب الحرب العالمية الثانية ، وصار المستعمرون الفرنسيون يسمحون بارسال بعثات للتعليم العالي في فرنسا . واذا كان عدد المتعلمين ظل ضئيلا اذ بلغ عدد التلاميذ في سنة ١٩٤٨ مائة الف تلميذ في منطقة يربو عدد سكانها على السبعة عشر مليونا من الناس فقد عرفت هذه القلة كيف تنبه الوعي القومي والشعور بالكرامة في نفوس المواطنين ، **وتعلمهم أن الزنجي انسان كغيره من الناس ، وان له حقوقه وتقاليده وفنه ، وشرع أولئك المتعلمون يستمدون من التقاليد التي ورثوها والعادات التي الفوها والوان الحياة التي يعيشونها الهاما يساعدهم على انشاء فن زنجي وأدب زنجي يعبر عن احلامهم وأهدافهم وعن آلامهم وآمالهم .**

وكان وضع الفن يختلف عن وضع الادب .

والفن قديم في غرب افريقيا، وقد دلت الاكتشافات على أنه بلغ مبلغا طيبا من التقدم وحسن التعبير . ولا غرو فهذا « جوبينو » ، صاحب نظرية التفرقة العنصرية ، يعترف بأن الفنون تنبع من ينابيع غريبة عن الغرائز المتمدينة وانها كامنة في دم الزنوج ... ويقول أيضا ان الزنجي يتميز ببعض خصائص حسية لا يستقيم الفن بغيرها .

ويطلق بعض النقاد الغربيين لأغراض خاصة على الفن في غرب افريقيا اسم « فن الزنوج » من ذلك ذريعة لمهاجمته . **وقد وصف « ب . جولي » في بحث وضعه عن « فن الزنوج والاستعمار » تلك الحملات المغرضة بانها تدل على جهل اصحابها وقلة تبصرهم في الملابسات التي احاطت ، ولعلها لاتزال تحيط ، بهذا الفن اليوم .**

ومعلوم ان الفن الصادق ينبعث عن روح كل شعب وغرائزه ويعبر عن العلاقات الاجتماعية والطبيعية القائمة بين افراد المجتمع الذي ينشأ فيه. لذلك عندما نتأمل تمثالا زنجيا يتبادر في الحال الى الذهن أن الفنان عندما نحته كان يتمثل الرجل راقصا . فهو يستمد من استعداده للرقص وقفته المرنة ، وشكل رجليه المتحفزتين ، وانحناء نصف جسمه الأعلى أو استقامته ، وانطلاق ذراعيه .. كل هذا الذي يدل على أنه قد تهيأ للاسترسال مع توقيع الانغام في حرية تامة .

واذا تجاوزنا عن تماثيل الراقصين وجدنا الفن يعبر بطريقة مؤثرة عن حياة الزنوج وعقائدهم واخلاقهم ، لأن النصب على اختلاف أحجامها تمثل بعض الاعمال التي تعودها الزنجي مثل تقديم الضحايا ، ودق الذره ، وضرب (التام تام) ومواقف التناجي بين المحبين . وهناك نصب أخرى تمثل الحيوانات او تشير الى مدلول بعض الامثال الشعبية منها « **انما يحسن العصفور التغريد عندما يصبح في الفخ** » و « **عندما يصطاد الفهد سلحفاة يقلبها عبثا ظهرا على بطن** » و « **ولا يزحف الثعبان على الأرض ولكن الله يهبه العصافير** » .

وهناك أيضا انتاج فني يستطيع أن يتخذ مكانه بين الأدوات المنزلية وغير المنزلية كالوزنات التي تصنع في شكل تماثيل صغيرة أنيقة . ولم تكن هذه الوزنات في الأصل للزينة والزخرف ، بل كانت لوزن مسحوق الذهب الذى كانوا يستخرجونه من المناجم المحلية .

وهكذا نجد فن الزنوج عالقا بحياة الانسان من كل نواحيها وانه فن واقعي .

ولكن الاستعمار أساء الى هذا الفن اساءة بالغة لأنه طوعه للتجارة ونزل بالفنانين الى درجة صناع . لان التجار الاوربيين صاروا يستأجرون الفنانين لعمل نوع معين من الانتاج مثل الاقنعة ، وجعلوهم يقصرون صناعتهم على جزء واحد من أجزاء الجسم كالرأس أو الذراع مما يجيدون نحته او صياغته . وبذلك قتلوا الروح الفنية في النفوس وتلاشى الالهام الذى كانت تعمر به القلوب .

ويتساءل « ب . جولي » بعد أن فصل ما اجملناه **متى نستطيع أن نتحدث عن نهضة فنية في غرب افريقيا** . ويرى أن من الصعب الاجابة على هذا السؤال . كان الفن الزنجي من قبل ذا صلة وثيقة بالمجتمع الافريقي ولكن المستعمرين حولوه عن مجراه الطبيعي الى سلعة تجارية خاضعة للعرض والطلب ولذوق الجماهير وأزياء النساء ... لذلك نجد نهضة الفن في غرب افريقيا يجب أن تتمشى مع نهضة المواطنين ومدى استجابتهم لها .

ولعل النهضة الادبية كانت أعمق جذورا وأكثر انسانية من النهضة الفنية ، ويكفى أن نلقى نظرة على الادب المعاصر فى غرب افريقيا لنجد انتاجا فى الشعر والقصة حريا بالاعجاب والتقدير . وقد اتجه الأدباء والشعراء المعاصرون الى بعث الروح القومية فى النفوس ، والاشادة بفضائل الزنجي وحثه على التمسك بتقاليده وعاداته وأخلاقه ، وتكييفها لتطابق روح العصر الحاضر ، لأن التمسك بالتقاليد لا يعنى استعادة ما عمله المتقدمون فى عصور بائدة وتقليده والنسج على منواله ، بل انه يعنى البحث عن الفكرة الرئيسية التى أخذوا بها فى الحياة حتى وصلوا الى الاعمال العظيمة التى قاموا بها ، تلك الفكرة نفسها تستطيع أن تهدى الابناء ليقوموا بأعمال جليلة تماثل فى عظمتها ماعمله الاباء وان كانت تختلف عن هذه الاعمال من حيث النوع والكيف والتمشى مع روح العصر .

وصف الشعراء فى منظوماتهم الانغام التى تضرب على الطبلة والتى يسمونها (تام تام) فى الليل تحت ضوء القمر فتبعث الغبطة الى النفوس وتحيي ميت الآمال ، أو على ضوء النار الموقدة التى تتناثر فى تلك الاصقاع كما تردد الغابات أصداء الانغام المضروبة .

ووصفوا حالة الزنجى الذى يعير بسواده وفقره ، وضمنوا هذا الوصف انهاض همته وحثه على العمل فى مثابرة وجد ، وعبروا عن حبه للسلام والتفاهم مع جميع الاجناس .

وهذه قصيدة للشاعر « ديا تيديان » بعنوان « أيها الافريقى اصغ الى موسيقاك » تضمنت الكثير من الاغراض التى ذكرناها . قال ما ترجمته :

« اخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك
« انها صوت آلهتك واجدادك ،
« عندما يهبط الليل ، فى أوقات السمر ، بعد أن نؤدى صلاتنا ، اصغ الى القيثارة يضرب عليها نغم من انغام « ثاره »
« تسرى عندئذ رعشة فى الاعشاب فتصمت
« وتتذكر الاشجار القديمة عهد آلهتنا التى كانت تحرس افريقيا الفتية الطاهرة .
« اخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك
« الا تشعر عندما تسمعها أن روحك تهتز وان قلبك مفعم بعطور منعشة وحنين الى وطن بعيد ، لأن القريب مشوه .
« انموسيقاك يااخىهى تاريخك هى الفرح والدموع والحسرات على شعب يعيش كما قدر له أن يعيش .
« وليست أغانى الجزر التى تنطوى على الحنين ، وانغام البرازيل المثيرة ، سوى أصداء لموسيقاك
« اخى ، أيها الافريقى ، اصغ الى موسيقاك .
« انها تبعث على التامل ، انها تقول :
« لقد كنت أبدا ما أنا عليه ، منبع تعاليم لا ينضب معينه .
« خلقت للفضاء الواسع لأنى ملك لأبناء الصحارى المحرقة ، ملك لسكان الغابات المرتفعة والسهول الجرداء المنبسطة ، والاراضى الممتدة على ضفتى نهر « بينان » .
« ان أحضانى ملجأ للمنكودين والبائسين ، لأن من اعماقى الرائعة تتصاعد تنهدات توحى بالأمل .
« واذا كنت من قبل أوحى بالحرب والنضال فانا اليوم أنادى :
« ثقة وشرفا وحبا وسلاما »
« أيها الافريقى اصغ الى موسيقاك ففيها العزاء
« ساعدها لتتغلب على الداء الذى ينخرها ، واحمها من أرجاس العصر التى تهاجمها
« واحفظها طاهرة لانها عنوان حضارتك حتى تتبوأ مكانها فى افريقيا الغد »

وهناك قصيدة اخرى بعنوان « القمر الجديد » للشاعر « جان مالونجا » ، وهى شبه أغنية من اغانى المهد الوسيط جعلها حوارا بين الفتيان والفتيات .. تقول الفتيات :

« أيها القمر هبنا حجابك لنخفى خيانات الفتيان وحبهم وعبثهم عندما يتصلون بالفتيات فى غيبة القمر » .

ويقول الفتيان : « على ضوء القمر يبدو شعركن أحمر لازهر يزينه ، وتفقد وجوهكن نضارتها المغرية ، نحبكن عند غياب القمر لأن الليل يضفى عليكن سواده فتبرق ثغوركن وتجتذب قلوبنا وأجسامنا .

ويذكر الفتيات للفتيان انهن يشاطرنهم الكد والعمل فى الحقول ... ويدعوهن الفتيان الى المثابرة على العمل حفظا لمستقبل أولادهن وحبهن ويقولون : «نحبكن عذارى غاباتنا الجميلات ...» وتدعو الفتيات الفتيان الى مشاركتهن فى الغناء والعمل لبلوغ السعادة « لأن العمل على ضوء القمر كفيل بطرد الجوع الذى يستولى على أطفالنا فى الليالى غير المقمرة . »

وتختم هذا الطواف بالقصيدة القصيرة التالية

وعنوانها « الى شقيقتى من المنفى » من نظم « أوبس مودى » وهذه ترجمتها :

« انت بقعة سوداء
« فى حياتى الناصعة البياض
« يا ابنة الليل الكبيرة
« أيتها العذراء السوداء
« العذراء الطاهرة الجميلة
« العذراء ذات الشعر بلون ثياب الحداد
« انك مليئة بالاسرار
« سوف أعود فى بعض الايام
« فارتاح الى صدرك الصامت الحنون
« عندما أتعب من صخب هذه الحياة الغربية »

وقامت القصة بتادية رسالتها فى بث الوعى الافريقى كما فعل الشعر ، وساعدت على احياء الاساطير الافريقية والفولكلور • وهذه أقصوصة من النوع الفولكلورى بقلم الاديبة « كينه فودييه » عنوانها : «زواج كانكان» ويلاحظ أن القاصة أشارت الى موسيقى يجب أن تتخلل الأقصوصة فى بعض مواضعها • وهذه ترجمتها :

« فتاه ، أيتها الافريقية ، اذا كنت لا تشعرين فى نفسك المقدرة على التضحية لبلوغ مثل أعلى ، فلا تصغى لهذه الموسيقى ولا لهذه القصة فانهما لم يوضعا لأجلك

انهما تتغنيان بجمال الفضائل التى ترفع الناس وتسمو بهم فوق أنفسهم • وهذه قصة « طابيه بولونكه» التى مثلت أبعد مايتصوره الناس فى الوفاق بين الزوجين واخلاصهما •

« أيتها الأخت ذات لون الأبنوس ، مهما بهرك الغرب فلا تقذفى بنفسك وراءه للفوز به ، متناسية افريقيا ، ولا تحاولى أن تفهمى مرمى الموسيقى ، فهى تنشد حكمة تجهلينها ، وانك لتدنسينها عندما تصغين اليها •

« يا أخت الابنوس ، ان هذه الموسيقى ألفها العازف « سيكوجالى » وقدمها هدية الى « بولونكه كانكان » ذات الفضائل العديدة بمناسبة زواجها بصديقها •

فى ذلك اليوم كان الضرب على الطبلة قد دعا شباب القرية للاجتماع فى ميدانها فالتفوا حول العازفين وقامت جوقة من فتيات حى « دينيك » بالافصاح باناشيدهن المتطايرة فى جو المساء الحار عن الغرض من هذا الاجتماع •

ووقف « فاجيكى » كبير العازفين أمام جمع من النساء وبينهن العروس فانشد فى وصف محامدها والثناء عليها ، فى حين كان يخطو خطوات راقصة •

وفجأة ارتفع صوت «كيتايوموسا» فسكت المغنون وتوقف العازفون • قال : كنت أمس أتنزه على ضفة نهر « ميلو » فوجدت رجلا مريضا بثياب ممزقة تقدم منى وطلب حمايتى • وكان يتبعه كلبان هزيلان مثله يحاولان اختطاف قطعة عظم يحملها • واستطعت بعد جهد عظيم ان اطرد الكلبين • وهذا البائس موجود الآن بيننا وارغب فى أن يتقدم من فقد بائسا مثله أمام هذا الجمع المحتشد ويعلن ذلك •

وعندئذ تقدمت العروس الى وسط الدائرة وقالت : ايها الزعيم انا التى فقدت مثل هذا الرجل •

وقال يوموسا : هل تستطيعين أن تشفى هذا الرجل أو تتعرفى عليه • ومقدما أؤكد لك أنه فقير بائس ، حافى القدمين ، أفاق متشرد ، وانه لايستطيع ان يكون سليل أسرة نبيلة كأسرتك •

واماطت بولونكه الجميلة النقاب عن وجهها واجابت : اعلم جيدا أنه اليوم أضحوكة الناس • ولكنه يستحق ذلك الحب الذى محضته اياه منذ عرفت الحب • وقد أحببته فى أيام الرخاء والسعادة ويجب أن أصحبه فى أيام بؤسه وتعاسته ، لأن الفرق فى الحياة بين السعادة والهناء خطوة واحدة •

وامام هذا التصريح العظيم اخذ المجتمعون يهتفون للعروس فى حين أسدلت النقاب على وجهها وأخذت تطوف بين الجمهور باحثة عن ذلك الشخص حتى عثرت على الرجل الذى سيصير بعد ذلك اليوم زوجها • ثم انحنت أمام الزعيم شاكرة له أنه أضفى حمايته على ذلك الرجل ، واسمه « كولامان كونيما »

واستقبلت آلات العزف النبأ بتوقيعات قوية سريعة واخذت الفتيات يرقصن وتقدم الرجال بهداياهم للعروسين •

والآن يا أختاه الافريقية فقد مر عشرون عاما على ذلك الحادث ولاتزال « بولونكه » تلك الزوجة التى تفهم زوجها وتعمل على الانسجام معه فى حياة زوجية هنيئة •

« صديق شيبوب »

نظرة فى كتاب الانسان العربى

قديمة وجديدة

بقلم : عبد الخالق عبد الرحمن

نظرة فى كتاب الانسان العربى قديمه وجديده

ان العالم اليوم يعانى حيرة فى الفكر ، واختلافا فى الرأى ، واضطرابا فى النظم،ويعانى قلقا فى الحياة، وان النظم التى يكتب لها العيش هى النظم التى تلبى حاجة طبيعية فى حياة المجتمع،وحاجة شعورية فى ضمائر الناس ، وهذه هى الحقيقة الواقعة التى سجلت عبر التاريخ ، والدكتور جورج حنا فى كتابه **(الانسان العربى قديمه وجديده)** سبر غور الانسان العربى وتنبأ له بمستقبل افضل فتكلم فى الفصل الرابع من كتابه هذا عن الشخصية العربية فى العصر الذهبى فقال فى صحيفة (٤٨) عن الدعوة الاسلامية « كانت تلاقى نجاحا كبيرا فى صفوف الشعب ... فى حين كان الزعماء الكبار يقاومونها بضراوة ويعملون كل شيء للقضاء عليها ، ثم تكلم عن العوامل التى ادت الى انتصار محمد صلى الله عليه وسلم فى اكبر ثورة عربية ... وفى مدة لاتتجاوز العشرين سنة ؟ فيقول : « مما لاشك فيه . ان ايمانه الصادق برسالته كان العامل الاول. . . غير ان الايمان وحده ماكان ليؤتى الانتصار بهذا الوقت القصير لو لم يكن محمد يتحلى بصفات. . لا اميز ولا انبل : بساطة فى العيش .. اخلاق سامية مغرورة فى صميم فطرته .. احترام العمل ايا كان العمل .. احترام الانسان ايا كان الانسان. . الدفاع فى سبيل الحق الى مالا يحده حد .. عبقرية فطرية فى معالجة الامور مهما كانت شائكة. . قلب مفعم بالحب لهذا الكائن الذى اسمه الانسان. . ارادة حديدية فى السعى ليخلص الشعب من الحالة التى كان فيها »

وارى ان الانسان العربى لابد له الاكبار من شأن الدين وانه يجب ان يكون سنده فى الحياة وذلك انه مهما يكن مركزنا الاجتماعى وضيعا فان الدين يرفعنا يكسبنا الكرامة البشرية التى نحتاج اليها كلما رهقتنا الحوادث والتجارب كما يقول الاستاذ سلامه موسى .

والأستاذ جورج حنا ينحى باللائمة على الشعوب العربية لتخلفها علميا ويقول فى صحيفة (٩١) « وان العالم العربى فى جوعه العلمى يحتاج الى الخبز اكثر مما يحتاج الى الفواكه والحلوى » . وفى فصل « الشخصية العربية فى عصر العرب الذهبى » يقول المؤلف :

« ان الحقيقة التاريخية بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر هى بحق عصر العرب الذهبى . ففى هذه الحقبة كان العرب حاملى مشعل الثقافة الوحيدين بينما كانت اوربا تغط فى ديجور الجهل وهذا القول يذكرنى بقول الاستاذ الكبير الزيات « **... وبينما كان الشرق من ادناه الى اقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من اضواء المدنية والعلم ، كان الغرب من بحره الى محيطه يعمه فى غياهب الجهل الكثيف ، والبربرية الجموح ، وكان حظه من الثقافة يومئذ ماتضمه حصون الامراء المتوحشين من بعض الكتب وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من قشور العلم وانقضى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد واولئك الامراء فى قصورهم يتبجحون بالامية ويرتعون فى الدماء ، وهؤلاء الرهبان فى ديورهم يمحون الكتابة من روائع الكتب القديمة لينسخوا على صفحاتها الممحوة كتب الدين ، حتى ازال الله الغشاوة عن بعض العيون ، فراوا من وراء هذا الظلام الداجى بقعة من المغرب تسطع فيها شمس المشرق فلما تبينوا ان البقعة هى جزء من اسبانيا ، وان النور قبس من نور بغداد استيقظ فى نفوسهم طموح الكمال الانسانى ، فطلبوا العلم فلم يجدوه الا عند العرب** » .

يقول المؤلف فى صفحة (٥٦) « ان الغزالى كان اكبر فقهاء الاسلام،كان فقيها ولكنه لم يكن فيلسوفا.

ويقول فى صفحة (٥٩) « ان الغزالى هو من انزل الفلسفة العقلية العربية من هذا المقام » .

ونحن نترك الرد على قول المؤلف للغزالى نفسه حيث يقول **(ولم ازل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الآن . ومذ اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق ،واخوض غمرته خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحذور ، واتوغل فى كل مظلمة واتهجم على كل مشكلة ، واقتحم كل ورطة واتفحص عقيدة كل فرقة واستكشف**

اسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومتسن ومبتدع . لا اغادر باطنيا ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صفوته الخ ...)

وهذا يدل دلالة واضحة لاغموض فيها ولا ابهام ان الغزالى يعتبر من الأئمة المجتهدين ومن احرار الفكر فى زمن قل ان نجد فيه من يجار بآرائه التى تخالف آراء معاصر الذين نسج الجمود على عقولهم غشاوة فهم لايبصرون .

ويعزى المؤلف سبب تأخر الانسان العربى الى تغلب الشعور الفردى على الشعور الجماعى الذى يقعده عن العمل من اجل الجماعة التى هو جزء منها ... وبالتالى يحول دون تقدم الجماعة التى يتوقف تقدمه على تقدمها .

وفى صحيفة (١١٢) يشيد المؤلف بثورة يوليو ١٩٥٢ التى انطلقت من ارض الكنانة ويقول « ومن هناك انتشرت الافكار العربية الاخرى » ويعتبر المؤلف الرئيس **جمال عبد الناصر** من طراز العربى الجديد فيقول : « والواقع المعروف ايضا .. ان اليد المحركة لهذه الانطلاقة .... صاحبها من طراز الانسان العربى الجديد » .

وفى ختام كتابه هذا يشيد المؤلف بمؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول العربية ويقول انها ظاهرة مشجعة ومدعاة تفاؤل . وفى نهاية هذا الكتاب القيم يقول « اننا بانتظار الايام المقبلة قريبا لأصدار الحكم النهائى على الانسان العربى الحاكم . والحكم سيكون عسيرا وبغلية القسوة من قاض لايساير ولا يرحم .. اسمه ، الانسان العربى الجديد » .

« عبد الخالق عبد الرحمن »

من أغانى الصباح

للشاعر : محمد مصطفى المليجى

بدا النور فوق الربى والجبال
وخلف الغصون وخلف التلال
واشرقت الشمس فى هالة
وبين يديها رأيت الجمال

لها غرد الطير حلو النشيد
فاشرق وجه الصباح الجديد
وماست غصون بقد وجيد
وبين يديها رأيت الجمال

وغنت طيور على الضفتين
وماء الجداول مثل اللجين
تهادى ويخطر فى جنتين
وبين يديها رأيت الجمال

وخلف الربى جبل شاهق
ونهر جرى ماؤه الدافق
مواكب أبدعها الخالق
وبين يديها رأيت الجمال

وزورق يجرى يشق النهر
ويسرع بين الربى والزهر
تغنى به غادة وجهها
يفوق الجمال ويسبى القمر

ترنح مجدافها نشوة
وغنى الجمال لها وانبهر
وبين يديها رأيت الجمال

محمد مصطفى المليجى

العقاد ومدرسة الديوان

بقلم عبد الحي دياب

من الأخطاء الشائعة لدى الدارسين لمدرسة الديوان التي كان العقاد أحد أعلامها البارزين ، أنهم لا يعرفون في أي وقت التقت آراء القائمين بها ، وفي أي وقت انفرط عقدهم ، وبناء على هذه الأخطاء راح بعض الدارسين يذهبون في أمر هذه المدرسة كل مذهب حسبما يتفق وأهواءهم وأغراضهم ؛ ومن ثم كانت النتائج التي وصلوا اليها أشبه ما تكون بالدجل العلمي منها بالحقائق النابعة من الدراسة الموضوعية .

ومن هذه النتائج والدعاوى العريضة التي لا يؤيدها الواقع ولا يسندها دليل اى دليل راجحا كان أو مرجوحا . من هذه النتائج زعم بعض الدارسين أن العقاد كان السبب المباشر وغير المباشر في خصومة كل من المازني وشكري ، ومنها أيضا ان شكري كان مظلوما غاية الظلم ، والعقاد والمازني كانا ظالمين غاية الظلم ؛ ومن هنا استحق شكري العطف كل العطف ، واستحق العقاد وزميله الجحود كل الجحود ، والنكران غاية النكران .

ومن هذه النتائج كذلك ان شكري كان أستاذا لكل من العقاد والمازني بمعنى أنه موجدهما وباعثهما ولولاه عليهما لكانا نسيا منسيا .

ولكن الدارس المنصف ازاء هذه النتائج لا يسلم بها على اطلاقها ، ولا يرفضها على اطلاقها ، وانما يمحص الحقائق تمحيصا دقيقا لا يطرقه غرض ولا يعتريه هوى ، وحينئذ سيهوله الأمر .. أمر أولئك الدارسين لمدرسة الديوان ، لأن الحقائق التي ينتهي اليها تقلب حقائقهم التي وصلوا اليها رأسا على عقب ، وترد الأشياء الى أصولها ، بعيدا عن البواعث الشخصية ، وبعيدا عن المعاصرة ، لأنها حجاب كثيف يحجب عن عيون الدارسين ضعاف النفوس ضوء الحقائق الصادقة تحت تأثير حب النفس الذي هو شعبة من الجنون كما يقول علماء الفلسفة والنفس على السواء .

وسبيلنا في هذه الدراسة أن نعمد الى تقصي الحقائق في مظانها وهي ولا شك عسيرة على الكسالى من الدارسين الذين يتلمسون الحقائق من بعض الشائعات تارة ، ومن الوقوف على المصادر السهلة الثانوية التي لا تصور الحقيقة تارة أخرى ، ومن تلوين هذه وتلك ببواعثهم الشخصية تارة ثالثة .

والدارس المنصف يرى أن العقاد ليس له دخل أي دخل في خصومة المازني وشكري ، لأن لهذه الخصومة أسبابها التي ارتكزت على طبيعة كل منهما

والذي يقف عليه الباحث في هذا الصدد هو أن شكري تقمص شخصية ضابط المباحث وراح يبدي للمازني سرقات من الشعر والدراسات الأدبية في الأدب الانجليزي ، بل انه لم يكتف بهذا لارضاء نفسه الطامحة الى الشر ، ولكنه نبه وزير المعارف « حشمت باشا » الى مقالات كتبها المازني ضد « حشمت باشا » ، وهو مدرس بالوزارة ، وكانت هذه الحادثة من الأسباب التي دفعت المازني الى الخروج من الوزارة .

والذي لا شك فيه أن تعقب شكري للمازني في أشعاره ودراساته ، واتهامه له بالسرقة كان بعد أن انتهى المازني من مقالاته التي كان يقارن فيها بين شكري وحافظ ويرفع من شأن الاول ويغض من قيمة الأخير من الناحية الادبية . اذا عرفنا ذلك وقفنا على حقيقة خطيرة تنطوي عليها نفس شكري وهي ولوعه بالشر ، أو كما ذهب العقاد في حديث خاص بيني وبينه أن شكري كان مصابا بالضيق والسأم نظرا لاصابته بالعجز الجنسي ؛ ومن ثم نبش عن سرقات المازني — على فرض صحتها مع تنبيه أحد تلاميذه وهو الاستاذ علي أدهم لأستاذه عبد الرحمن شكري عن قصيدة « فتى في سياق الموت » للشاعر « هود » . أغفى شكري عن هذه السرقات الى حين انتهى المازني من مقالاته التي كان يشيد فيها بشكري ، ثم انطلق في اتهاماته للمازني كالاعصار الذي يحطم ما يعترضه ، ولذلك كتب في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه الذي صدر في عام ١٩١٦ عريضة اتهام للمازني يعدد فيها مناقبه في السرقة من الشعر والدراسات .

وفي تصورنا أن هذه العريضة أو ذلك البيان يحمل في أطوائه استفزازا أيما استفزاز للشاعر الفنان ابراهيم المازني ، يغضب لهذا الاستفزاز الحليم ويثور له النبي ، ويكفر بالصبر والسكوت عليه الأسوياء من الناس . فما بالنا بالمازني الذي

كان بالأمس القريب يعد شكرى مبشرا بالمذهب الأذلى الجديد فى مقارناته بين شكرى وحافظ ٠

وقد ذهب بعض الدارسين الى أنه قد وصل الى شكرى أن المازنى ينتقص شعره ، ومن هنا كان استفزاز شكرى على هيئة النقد ردا أبلغ رد على ذلك الانتقاص لشعره من المازنى ٠

ولو أمكن الانسان أن يحدث لنفسه اغماء عقليا وهو يرد على هذه الشائعة لكان خيرا ، لأن افتعالها لا يحتاج فى تبيانه الى حالة صحو ونشاط عقلى ٠٠ لأنه من الذى يصدق أن المازنى يعتبر شكرى مبشرا بمذهب جديد ، ويشيد بشعره أيما اشادة ، ثم يهدى شكرى الى المازنى الجزء الثالث من ديوانه ، وبعد ذلك هل هناك مسوغ لأن يرجع المازنى فيما كتبه عن شكرى فى أقل من عام ٠٠ لا تصدق هذا ، بل اننا لنشك كل الشك فيما استند اليه أصحاب هذا الزعم ٠

والذى يؤسف له حقيقة أن المازنى نفى أنه رمى شعر شكرى بالسرقة ، ووصف فى الوقت نفسه نقد شكرى لشعره بأنه عنت ظاهر ٠ وحاول أن يبرر اتهام شكرى له بالسرقة ، ولم يقف ازاء هذا الاتهام مكتوف اليدين ، بل حاول أن ينقد شعر شكرى ٠ وهنا ثار شكرى ثورة جامحة لم تقف عند المازنى فحسب ، بل تجاوزته الى العقاد ، ولم يكتف باتهام المازنى بالسرقة فى الجزء الأول من ديوانه ، ولكنه تعدى ذلك الى شعر المازنى ، الذى لم يكن قد طبع حينذاك ٠٠ ومع ذلك كله حاول المازنى أن يرفع راية السلام فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه لشكرى ، وشكره على تنبيهه له ، وأنكر عليه أن يلام غيره اذا ما صح النسب الى المازنى ، لأن الناس تجاوزوه الى غيره ، واتهموا سواء قيسا عليه ٠

ولكن رفع راية السلام من جهة المازنى لم تخفف من وطأة شكرى فى نقده ، ولم ترجعه عن غيه بحيث يقلع عن استفزازه ، لأنه كتب بعد ذلك مقالة فى المقتطف فى يناير سنة ١٩١٧ ضمنها آراءه واتهاماته السابقة دون تحوير أو تبديل ، وادعى فى هذه المقالة أنه يتحدث فى مسألة ليست تافهة ، والا لما تعرض لها ، وأن كل أديب حارس من حراس الأدب ، ومن واجبه ألا يغفل عن حراسته ٠

وتمضى الخصومة بينهما من سئ الى أسوأ ، والعقاد يمسك بالمازنى من تلابيبه ويرجوه ألا يرد على شكرى بدعوى أن هذا يفرح دعاة القديم ، ومن هنا كان المازنى يستمع الى نصيحة العقاد ويطبقها بحذافيرها ، لأنه كان أعرف بسلامة نية العقاد وصفائه ، ولكن سكوت المازنى بناء على رغبة العقاد لم يشفع لدى شكرى حتى يرجع عن غيه ، ويثوب الى رشده ، وانما قام بنشر مقالات فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ فى صحيفة عكاظ ، خلاصة ما يقال فيها أنه غاية فى الاسفاف اللفظى ، وغاية فى الافحاش فى التفكير ، ولم يقتصر فى هذه المقالات على المازنى فحسب ، بل ضم اليه العقاد ، وكان يوقعها بامضاء « ناقد » ، وقام بنشرها فى المدة التى كان العقاد والمازنى على خصومة مع الشيخ فهيم قنديل ٠ فى ذلك الوقت توطدت علاقة شكرى بقنديل حتى أكد لنا العالم الفاضل الاستاذ على أدهم بأن شكرى ــ وهو أستاذ أدهم ــ كان ينقد قنديلا نقودا من أجل نشر هذه المقالات ٠

والدارس المنصف يرى أن الخصومة قد دخلت طورا جديدا ، خلاصة ما يقال فيه التشهير بأستاذين كانا يقومان بواجب وطنى ابان الثورة ، يتمثل فى تحرير المنشورات السرية ، ومن ثم فانهما يقطنان فى مكان بعيد عن أعين الرقباء من الحاكمين؛ اذ كانا رحمهما الله يقطنان فى حجرة داخل مقابر الامام الشافعى ، ومع ذلك كله فان شكرى كان يثير عليهما الغبار الذى يكشف عنهما بطريقة مبتذلة لا ترقى الى مستوى قطاع الطرق فضلا عن الأدباء والشعراء ٠٠

وكان لا بد لهذه الرواية التى اكتملت مقوماتها الفنية من الفصل الأخير ، وذلك لأن المازنى لم يعد يطيق هذا التجريح الدائم ، وذلك الاتهام السافر من قبل أخيه عبد الرحمن شكرى الذى تعرف عليه منذ عام ١٩٠٥ ، وبعد ذلك لم يرع لأخوة صديقه حرمة ، ولا بصداقته وفاء ؛ ومن ثم نشأ فى المازنى شعور كاد يجتاحه ويخفيه عن العقاد ، حتى صدر الجزء الأول من كتاب « الديوان فى الأدب والنقد » للمازنى والعقاد ، وحتى كان الجزء الثانى على وشك الصدور ، عاود العقاد مرض الصدر الخبيث الذى أصيب به قبل ذلك فى عام ١٩٠٩ ، وسافر العقاد الى أسوان حيث الجو الجاف الذى يتطلبه من أصيب بهذا المرض ٠ وهنا ترك العقاد أصول الجزء الثانى من الكتاب وحذر المازنى كل التحذير أن يتعرض لشكرى بالنقد ، وبعد أن غادر العقاد القاهرة ومضى حيث لا يعرف من المجهول الذى ينتظره

شيئا، تحركت فى نفس المازنى بواعث السخط والغضب على شكرى ولم تنطفىء تلك البواعث الا بكتابه فصل عن شكرى يشفى به ما فى نفسه ، وذلك بوساطة نقده نقدا عنيفا يتمثل فى وصفه لشكرى بالجنون والخرس والادعاء والبلم والحقد ، وانه منكود ومانق الى آخره ، وزج بهذا الفصل الى المطبعة ليطبع مع الجزء الثانى الذى تركه له العقاد تحت رقابته ٠٠

وحينما قرأ شكرى نقد المازنى له طار صوابه على الرغم من أنه أمضى ست سنوات يهاجم المازنى ويستفزه ، ويأخذ فى طريقه العقاد أيضا ، ولم يحاول احد منهم أن يرد عليه ولكنه فى هذه الحالة يغضب غضبة مضرية ، ولا يعرف لنفسه ضابطا ينزل عليه ، ومن هنا نجده ينبرى لاتهام صديقيه باتهامات أهونها أنهما خنازير الانسانية ، كما تتمثل فى المنزلة الوضيعة والعرض المستباح الى آخر ما جادت به قريحته فى هذا الضرب من الشتائم والسباب الذى نربأ بانفسنا وبالقراء من تدوينها ، لأنها لم تنشر الا فى صحيفة « عكاظ » وهى صحيفة لا تمثل قيما ، كما أن العصر الذى نعيشه الآن لا يسمح بنشر تلك الترهات والسخافات ، وحسب القارىء أن يرجع الى تلك الصحيفة فى أعدادها ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ وغيرها ليرى صدق ما ذهبنا اليه فى تلك المناحة التى أقامها شكرى على زميليه ٠

والدارس المنصف لهذه الخصومة يعذر المازنى فى نقده لشكرى ، لأن شكرى هو الذى أساء الى المازنى أولا ، واستمرت اساءاته تتكرر حتى غلبت على أمر المازنى ، وأصبح لا يجدى معه نصح العقاد بالتريث والاغضاء ٠

كما لا يسع الدارس المنصف أن يشهد للعقاد بأنه كان سمحا غاية السماحة مع شكرى بالرغم من اسفاف شكرى فيما كتبه عن العقاد ، ونعته له بأنه نشأ نشأة وضيعة الى آخر ما أبدعه يراع شكرى من اسفاف فى القول وافحاش فى التفكير ، لا يسكت عنها انسان أى انسان فضلا عن عباس العقاد الحساس ٠

ومما يؤيد سماحة العقاد مع شكرى أنه لم يسكت عن الرد على شكرى خوفا منه ، ولكن خوفا على تبديد شمل الجماعة التى قامت لارساء قيم فى الأدب والفن يحتاج اليها الوطن أيما احتياج ٠

كما ان العقاد بالغ فى سماحته حينما جمعهما ورأب الصدع وعاهدهما على أن يكفا عن التعرض لبعضهما البعض ، فرضيا حكمه ، وكتب العقاد يومذاك مقالة فى صحيفة « الأفكار » يصف ما جرى بين المازنى وشكرى بأنه مصارعة أصدقاء ، لا مقاتلة أعداء ، وانقشعت السحابة وعادت سماء صداقتهما صفوا لا كدر فيها ٠

كما وصف العقاد هذه الجفوة بين زميليه وموقفه بينهما حائرا ، وذلك فى رثائه لعبد الرحمن شكرى:

ابذل الخلد وافدى بالمدى
ساعة اشفى بها قلبين صدا
ساعة يذهب فيها الغضب
بين صنوين طغى ثم استبدا
نفرا واسفى بينهما نفرة
ما عرفت فى القلب حقدا
لم يكونا عدوين ولا حملا
ضغن عدوين استعدا
أيسر العتب شديد بين من
ألفوا الصحبة كالأملاك ودا
غضبا فافترقا فاسترسلت
فرقة الوطن هجرانا وبعدا
انا ادرى ما انطوى بينهما
من رضى اصفى من الظل وأندى
فيم كان البعد فيم اختلفا
فيم كان الهجر امعانا وشدا
افلا كان لقاء بيننا
قبل ان يفترقا لحدا ولحدا

ولا ينسى الدارس أيضا أنهما بعد أن جمعهما العقاد فى منزله قد تتابعت مقالاتهما تحمل تقدير احدهما للآخر فى عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٤٧ فى جريدة السياسة وغيرها ، وذلك مع افراط المازنى فى ترضية صديقه شكرى باعتذاره عما بدر منه ، واعلان فضله عليه وتوجيهه اليه ، وتاثيره فيه ٠

وفى تصورنا أن مقالات المازنى فى هذا الصدد قد أوحت لبعض الدارسين أن يعد شكرى أستاذا لكل من المازنى والعقاد ، وهو فهم يدل على سطحية القائلين به وفهاهة تفكيرهم ، وعيهم عن تناول الأعمال الفكرية بالدراسة ٠

وتأسيسا على هذا الفهم الخاطىء حاول نفر من الشعراء والادباء ممن لا طاقة لهم بالدراسات الادبية أن يسبغوا على شكرى الفضل كل الفضل فى انشاء مدرسة الديوان وأستاذيته لزميله ، وقاموا بنشرهذه الدعاوى العريضة على صفحات مجلة « أبولو » الأمر

الذى جعل العقاد ينشر مقالة بجريدة الجهاد فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، أعلن فيها أنه لم يتأثر بأحد ، وليس لانسان عليه فضل وليس تلميذا لأى مخلوق .

وعلى الرغم من نفى شكرى لزعم هؤلاء الدارسين باستاذيته للعقاد والمازنى ، وفى نفى انه قام بمذهب جديد فى الأدب ، وانه ليس بينه وبين العقاد أو المازنى تنافس على شهرة أو حرفة رزق ، وانه لا يحمل ضغينة لأحدهما . على الرغم من ذلك كله فقد سار أصحاب الهوى من الدارسين فى متجههم الفكرى خدمة لبواعثهم الدفينة ازاء العقاد ، وراحوا يحملونه تبعة انزواء شكرى التى افترضوها عن الحياة الادبية ، وما دروا أن شكرى لم ينزو قط عن الحياة الادبية ، وانما كان يباشر نقده ونشر شعره فى مجلتى الرسالة والمقتطف وغيرهما تحت امضاء (ع . ش) .

كما راحوا يواصلون لجاجتهم وحقدهم الذى يصدر عن طبع أصيل ومزاج لا اختلاق فيه ، أخذوا يواصلون ترهاتهم التى تتمثل فى استاذية شكرى للعقاد والمازنى وهذه الترهات لا تكلفنا لكى ندحضها أكثر من أن نهمس فى آذان هؤلاء الدارسين أن لقاء العقاد مع شكرى وأصطحابه له لم يتجاوز أربع سنين بعد ان رجع شكرى من لندن فى أواخر عام ١٩١٢ حتى عام ١٩١٦ وهو العام الذى قدم فيه المازنى الى المحاكمة أمام محكمة النقد الذى كان فيها خصما وحكما فى آن واحد ، وأن شكرى طلب من العقاد أن يقدم الجزء الثانى من ديوانه عقب تعرفه على العقاد ، وهى ولا شك من الدعائم الثابتة التى ارتكز عليها المذهب الجديد فى الادب والشعر ، كما انه قدم الجزء الأول من ديوان المازنى بمقدمة تفصح فى جلاء عن المذهب الجديد .

والدارس المنصف حينما يقف أمام هاتين المقدمتين يشعر شعورا عميقا أنهما لا تخرجان من دارس ضحل العقل ، أو سطحى التفكير ، وانما سينطق بأعلى صوته قائلا : هذا هو انجيل النقد والدراسة الادبية لدعاة المذهب الجديد ، وأن كاتبهما ليس بحاجة الى تلمذة على شاعر أو توجيه من آخر .

أما المازنى فدعواه بفضل شكرى عليه وتوجيهه له وتأثيره فيه الى آخر ما أضاف لشكرى من نعوت وصفات فقد يكون هذا حقيقة حيث لا يوجد مانع عقلى يمنع ذلك لطول صحبتهما فى تلمذتهما بمدرسة المعلمين العليا ، وفى زمالتهما فى التدريس ، وتبلغ هذه الصحبة حوالى عشر سنوات .. قد يصح هذا ولكننى أرى أنه لا يصح وأرجح غيره نظرا لأن المازنى كان ينسى نفسه فى تقديره لاخوانه جريا على منهجه الساخر من الحياة والأحياء على سواء ، لأن الذى فعله مع شكرى فعل أكثر منه مع العقاد فى المقدمة التى قدم بها ديوان العقاد ، مما جعل العقاد يرفض ما كتبه المازنى وأن يعيد كتابتها مرة ثانية ، فكتبها ولكنه أثبت أنه غير راض عنها .

كما أن المازنى كان لا يكترث بالشهرة والخلود ، وشأنه فى ذلك شأن الفنان الواثق من نفسه وفنه ..

وكل هذا يفسر لنا تلك الطبيعة الساخرة التى لا تعبأ بكلمة تقويم فى شعره أو دراساته الادبية ، وذلك لأن الدارس المنصف اذا اتجه صوب أعمال المازنى الشعرية والأدبية فانه سيقف مع فنان أصيل ليس هو شكرى وليس هو العقاد ، ولكنه ابراهيم عبد القادر المازنى لا غير .

والى هنا نود أن يتقرر فى الأذهان أن الواجب الأوجب واللازم اللازب أن يراجع الدارسون للأدب الحديث بصفة عامة ، ولمدرسة الديوان بصفة خاصة دراساتهم ، وذلك بعد أن يشقوا صدورهم وينظفوها تلك الصدور المليئة غيظا وحنقا على روادنا الأوائل، عليهم أن يقوموا بذلك لأننا سنرجع الى تلك الدراسات واحدة واحدة لنعطى كل انسان حقه فحسب ، وفى الوقت نفسه تبين زيف الدارسين وعبثهم بالقيم والأخلاق معا بعد ثورة نفسية عارمة طلب العقاد النصفة من المصريين الذين مافتئوا ان يكدروا صفو حياته فقال لهم :

انا نريد اذا ما الظلم حاق بنا ... عدل الأناسى لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين تنصبها ... على المساواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت ... بين الحلى واحجار الطواحين

فلما لم يسمع له سامع ، أو يجيب طلبته مجيب كان رد الفعل معكوسا على شعره وكان شعره حينذاك يحمل فى أطوائه اتهاما للمصريين فى رجولتهم وانسانيتهم .. الى آخره ، كما هو واضح فى الكثير من شعره .

« **عبد الحى دياب** »



مسرح ٢٣ يوليو

بقلم عبد الفتاح البارودى

ان التغييرات التى حدثت فى المسرح والسينما وكل الفنون منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هى صورة فنية للتغييرات التى احدثتها الثورة فى حياتنا ... ان ما حدث فى حياتنا هو اننا استيقظنا .. ولم تكن نتائج هذه اليقظة هى فقط مجرد تصحيح الأوضاع ، بل اعادة تشكيل حياتنا من جديد ... والمسرح مرآة للحياة ، بل ميكروسكوب للحياة ، ومن اجل ذلك يخطىء الذين يقيسون التغييرات التى حدثت فى مسرحنا بمظاهرها فقط ، او بمجرد التوسع فى النشاط المسرحى ، او بزيادة عدد الجمهور والروايات .. الخ ... ان هذه كلها حقائق ، ولكن وراءها حقائق اخرى اعمق .

فمثلا جمهور المسرح تضاعف بدرجة مذهلة .. هذه حقيقة ، ولكن لولا ان المسرح فى عهد الثورة اهتم بخلق « الشغف المسرحى » لما تولدت فى الجمهور هذه الرغبة الحماسية فى دخول المسارح ومتابعة النشاط المسرحى .

وعدد الروايات تضاعف بشكل ملحوظ ، لدرجة ان فرق مسرح التليفزيون تعرض رواياتها بمعدل ستة ايام لكل رواية ، او بمعدل اسبوعين على الاكثر ، من فرط ازدحام البرامج بالروايات ... هذه ايضا حقيقة ، ولكن لولا ان المسرح فى عهد الثورة اهتم بخلق الوعى المسرحى لما ظهر هذا النشاط الحافل فى الحقل المسرحى لأول مرة فى تاريخنا الفنى .

ان هذا كله لم يحدث عفوا ... واذا كانت النهضات الاجتماعية فى العالم كله صاحبتها نهضات فنية ، فان ثورة ٢٣ يوليو تنفرد بأنها لم ينحصر تأثيرها فقط فى احداث نهضة ، بل خلقت مجتمعا جديدا ، وبالتالى خلقت فنا جديدا ان هذا ليس معناه ان مسرحنا مثلا بلغ ارفع مستوى ، او بلغ المستوى الذى نرجوه ، او ان مسرحياتنا بلغت المستوى العالمى ، فان فى الحقل المسرحى عيوبا ونقائص كثيرة ، ولكن المهم ان انتاجنا المسرحى بدا يعرف التخطيط الفنى والمنهج العلمى ، وبدا **«التفكير المسرحى»** يظهر ويتبلور فعلا ، ومعنى هذا ان تفكيرنا الفنى تغير تغييرا جوهريا .

ما الدليل على ذلك ؟ خذ الدليل من امثلة بسيطة جدا ولكنها قوية الدلالة ... ان مسارحنا عرضت فى الموسمين الاخيرين روايات محلية ومقتبسات سبق عرضها فى المجتمع الماضى .. وفى المترجمات العالمية راينا روايات سبق ان قدمها مسرحنا منذ ٣٠ سنة ، فاين التغيير اذن ؟

ان التغيير ملحوظ جدا .. فالمحليات والمقتبسات القديمة التى اعيد عرضها اضطرارا ، ولمجرد ملء الفراغ الذى ظهر فجاة بعد انشاء عشر فرق جديدة دفعة واحدة ، هذه الروايات قوبلت بدهشة واثارت اكثر من علامة استفهام .. ان الناس تساءلوا لماذا اعيدت ، وبعضهم تساءل — فى البداية — لماذا

انشئت كل هذه الفرق ، ولماذا لم تنشأ بالتدريج فرقة بعد فرقة ما دام عدد مؤلفينا لايكفى لتغطيتها . . طبعا هؤلاء وأمثالهم لم يدركوا المغزى الكبير الذى استهدفه هذا التوسع لتعميم النشاط المسرحى بحيث لا يبقى محتكرا للقاهرة فقط ، بل يمتد الى كل المحافظات وكل المدن ثم كل القرى . . . المهم ان هذه الروايات المعادة لم تجد ما كانت تجده فى المجتمع الماضي من ترحيب باعتبارها من وسائل التسلية ، وانما اكتشف المتفرج الجديد انها غريبة على بيئتنا الجديدة ، وانها غير ذات موضوع . . . هذا بلا شك تغيير جوهرى فى المزاج والأذهان والوجدان . . وامامنا دليل واقعى . . ان مسرحيات الريحانى ، وهى بالنسبة للمجتمع الماضي متطورة ، اصبح المتفرج الجديد يشعر ازاءها نفس الشعور ، بل ان الفنان بديع خيرى الذى اشترك فى اعدادها ، اعلن انه سيحاول تقديم روايات اخرى باسلوب جديد يلائم احتياجات المجتمع الجديد .

ومثل هذا التغيير حدث حتى فى المترجمات العالمية . . . كيف ؟! ان نصوص المترجمات لاتتغير ، والعالم كله يقدمها كما هى ، ونحن ايضا نقدمها كما هى باستثناء الاعتراضات التى اثيرت حول الاسلوب او الالفاظ التى ترجمت بها ، وانما الذى تغير هو الاحساس الفنى بها . . . فمثلا مسرحيات شيكسبير عندما عرضت فى مجتمعنا الماضى شاهدها الجمهور على انها روايات عالمية لمؤلف عالمى ، ولكن عندما ، عرضت فى الموسمين الاخيرين تغير الوضع . . ان رواياته تاجر البندقية ومكبث وعطيل اثارت مناقشات فنية عميقة بين الجمهور وبين المشتغلين بالفن وفى الندوات الاذاعية والتليفزيونية ، وفى الندوات التى اقامها مسرح الحكيم . . . فمثلا عندما عرضت رواية تاجر البندقية اثيرت اسئلة حول مفهومها وحول تناسب الاداء واختيار الممثلين ، ومع ان مخرجها فتوح نشاطى توخى الدقة فى اخراجها فان كثيرين تساءلوا لماذا لا تحاول اتباع اساليب حديثة فى اخراج التراث العالمى بملابس حديثة وديكورات ايحائية مثلا ، ولماذا لا نحاول تفسير هذا التراث تفسيرا جديدا . . . الخ . . . وكثيرون غيرهم تساءلوا لماذا ادى حسين رياض دوره اداء غلب عليه الطابع الكاريكاتورى ، واعترض كثيرون على اداء بقية الممثلين وقالوا انهم لم يبرزوا الروح الشيكسبيرية ، وبعضهم امتدح اداء سناء جميل ، وبعضهم اتهم جميع الممثلين بانهم كانوا يتحركون مثل قطع الشطرنج . . . الخ . . .

كذلك عندما عرضت رواية « مكبث » اثيرت اسئلة كثيرة حول تفسير « العرافات الثلاث » وماذا يقصد شيكسبير بهن ، وهل يعبرن عن مفهومه للقدر . . . الخ . . . وايضا عندما عرضت رواية عطيل دار الجدل حول الاداء التمثيلى ، واتهم بعض الممثلين بانهم يؤدون نصوص شيكسبير باسلوب خطابى كما يفعلون فى اداء الشعر الغنائى ، ودارت مناقشات حول مفهوم الرواية نفسها ، وانتقلت المناقشات الى الميكروفون والتليفزيون ، وفى بعض البرامج عقدت مقارنات بين اسلوب اخراج الرواية على مسرح التليفزيون واسلوب اخراجها فى الفيلم الروسى الذى نال جائزة الاوسكار ، كذلك ناقش احد البرامج التليفزيونية فن شيكسبير بصفة عامة ، واشترك فى هذه المناقشة اساتذة الجامعات . . . الخ

ان هذه المناقشات دارت فى مستويات مختلفة ، ولكن المهم اننا بدأنا نناقش ونعرض مختلف وجهات النظر بينما كانت الروايات العالمية فى الماضي تعرض فى صمت ، باستثناء التصفيق التقليدى الذى يحدث عن اسدال الستار

ان معنى هذا كله اننا تغيرنا . . افكارنا تغيرت . . مفهوماتنا الفنية تغيرت . . تولدت فينا الرغبة فى المعرفة . . والسبب الاساسي هو ان مجتمعنا الجديد تغير تغييرا جوهريا عن المجتمع الماضي . . . انتقلنا من مرحلة الحياة الزراعية فى المجتمع الاقطاعى القديم الى مرحلة التصنيع ، وبالتالى انتقلنا حتما من التفكير الغيبى الى التفكير الواعى ، ولهذا اختلف تفكيرنا الفنى عن التفكير الروتينى القديم ، واختلف استقبالنا للروايات التى تعرض على مسرحنا ، حتى ولو كانت نفس الروايات التى عرضها مسرحنا القديم ، وظهر تفكير جديد فى المؤلفات وفى تناول المشكلات وفى الاخراج . . . الخ . . . وتبلور هذا التفكير فى مسرح التليفزيون بصفة خاصة ، لانه ولد فى عهد الثورة ، ولهذا تحمل مسئولية انشاء المسرح الجديد الجدير بالمجتمع الجديد .

ليس معنى ذلك اغفال المسارح الاخرى ، فكلها تعيش فى المجتمع الجديد وتتحمل نفس المسئولية . . وليس معنى ذلك ان فرق مسرح التليفزيون فوق مستوى الخطأ ، فقد حدثت اخطاء كثيرة ، وانما المهم انها تعمل بتخطيط منهجى يتجه بمسارحنا كلها الى

خلق المسرح الذى نريده لمجتمعنا الجديد ، والذى يستحق ان نطلق عليه « مسرح ٢٣ يوليو » ... وفعلا راينا الفرق التليفزيونية فى فترة لا تزيد على موسمين اثنين تعطى للحقل المسرحى نتائج فى غاية الاهمية ... فعلى الرغم من ان رواياتها متفاوتة المستويات ، فانها تسير فى المجال المسرحى الجديد وتعبر فى مجموعها عن التفكير الفنى الجديد .

فمثلا رواية « **روض الفرج** » عبرت تعبيرا مباشرا عن تغيير التفكير الفنى ، فان احداثها صورت الفنون القديمة التى عاشت فى المسرح القديم،مسرح روض الفرج ، وانتهت الرواية باسدال الستار على هذه الفنون الى الأبد ، لتبدأ فنون جديدة فى مسرحنا الجديد القائم على العلم والثقافة ومواضعات المجتمع الجديد .

ان مجتمعنا الجديد يؤمن بالثقافة ، وظهر ذلك فى مسرحنا الجديد سواء فى عرض التراث العالمى والتجارب العالمية الجديدة ، وتشجيع التجارب المحلية ذات القيمة الفنية ، واتاحة فرصة العمل للفنانين والفنيين والمثقفين .

ومجتمعنا الجديد يفسح مجال ممارسة « مرحلة التجربة والخطأ » ، وظهر ذلك فى مسرحياتنا الجديدة ، فرأينا فى مسرحية « **ياطالع الشجرة** » تناولا جديدا لمثل شعبى ، وفى (**رحلة خارج السور**) و (**كوبرى الناموس**) و (**البر الغربى**) تناولا جديدا لأحداث وافكار مضت ولا تزال لها رواسب ، وفى (**حلاق بغداد**) تناولا جديدا لقصص ادبية قديمة، وفى (**ادهم الشرقاوى وشفيقة ومتولى**) تناولا جديدا لأساطير شعبية... روايات كثيرة جدا تعتبر كلها تجارب جديدة ، ليس فقط فى النصوص بل فى الاخراج والأداء والديكور والموسيقى ، ولهذا كان من الطبيعى ان تثير مجادلات ومناقشات حامية .

ان (**الفرافير**) مثلا اثارت مناقشات متواصلة ومتعارضة حول النص وحول الاخراج ، وكذلك (**الأرانب**) ، و (**الطعام لكل فم**) وغيرها .. والظاهرة الرائعة ان المناقشات دارت بحرية ، لأن مجتمعنا الجديد يؤمن بالحرية ، وظهر ذلك فى مسرحنا الجديد ، واصبح من اهم مزاياه حرية التعبير والمناقشة واصبح المسرح حقل تجارب مهما يكن الراى فى مدى مراعاتها للقواعد المسرحية فانها أتاحت ظهور افكار جديدة وتكنيك جديد .

فمثلا رواية (**الزلزال**) قدمت مناقشات ذهنية فى تكنيك جديد .. ورواية (**القبلة الثالثة**) قدمت تفكيرا جديدا فى مشكلة انسانية ، وتفسيرا جديدا لاحداث وقعت فعلا ورآها المؤلف برؤية جديدة .

من المهم جدا ان معظم هذه الروايات قدمها مؤلفون يكتبون للمسرح لأول مرة ... ولولا ان مجتمعنا الجديد يحقق تكافؤ الفرص لما اتيح لرواياتهم ان تلقى عليها اضواء المسرح ... ان رواية (**عنتر وانجه**) كتبها مؤلفها منذ اكثر من ٢٠ سنة ولكن المجتمع الماضي لم يكن يسمح بحرية التعبير ، ولهذا كان من المستحيل ان يمثلها مسرحنا الماضي... ايضا رواية (**قهوة مصر**) لم يسمح المجتمع الماضي بتمثيلها لأن مؤلفها المرحوم أنور المشرى صور فيها بعض مفاسد ذلك المجتمع تصويرا ساخرا ... وانا حينما اذكر عبارة «المجتمع الماضي» اقصد بالطبع الذين كانوا يسيطرون عليه .

اما الآن فقد تغير مجتمعنا ، واصبح مسرحنا صورة فنية للمجتمع الجديد الذى يؤمن بالثقافة والتجربة وحرية الرى وتكافؤ الفرص ، ولهذا ظهرت التجارب الجديدة والمواهب الجديدة ، ولمع نجوم لو ساروا فى الروتين القديم لظلوا خلف الكواليس عشرين سنة مثلا ... ايضا ظهر فى مسرحنا الجديد ارتباط الفن بالشعب ... واذا كانت المسارح لم تعمم بعد فى مختلف انحاء البلاد ، فان المشروعات الجديدة تتجه الى تحقيق ذلك .

هل معنى هذا ان مسرحنا الجديد منزه عن الاخطاء ؟! ابدا ... ان بعض كوميدياتنا اقل من المستوى الفنى ، وبعضها فيه اسفاف .. وظهر شيء من السطحية فى مناقشاتنا الفنية .. وبعض الفرق المسرحية تعمل بلا منهج واضح .. الاخطاء كثيرة ، ولكن المهم ان باب النقد مفتوح بحرية وصراحة ، وان التخطيط الفنى يدعم موسما بعد موسم ، ومن اجل ذلك — مثلا — شكلت لجان متخصصة لمراجعة الانتاج قبل عرضه على المسرح ... وهكذا نجد ان مسرحنا الجديد يواجه اخطاءه ويحاول معالجتها .

ان مسرحنا الجديد حقق نتائج ايجابية ، ولكن من واجب الفنانين جميعا ان يواصلوا التقدم والتطور بالمنهج العلمى ، ليرتفعوا الى مستوى مسئوليتهم عن تدعيم مسرح ٢٣ يوليو .

« عبد الفتاح البارودى »

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الثورة والادب

اذا كان الأدب عندنا قد ساهم فى التهيئة لثورة ٢٣ يوليو ، فان الثورة قد سبقته فى سنيها الاثنتى عشرة ، وخلفته وراءها مبهور الانفاس لا يستطيع اللحاق بهـا ، وان كان قد تأثر بهـا فى زحفه البطىء .

واول تأثير للثورة فى الادب كان عن طـريق الانفجار فى تصوير الماضي ، اى ماقبل الثورة ، وما كان فيه من فساد حـكم ، واستغلال نفوذ ، وسوء توزيع .

انطلق الادب من عقاله ، وشارك فى الثورة على الاوضاع القديمة ، وظفرنا باعمال ادبية كبيرة عنيت بتصوير الجو الذى نبتت فيه الثورة ، وبيان حتميتها عن طريق التجسيد الادبى .

من تلك الأعمال « **انا الشعب** » لفريد ابو حديد ، و « **الشارع الجديد** » لعبد الحميد جودة السحار ، و «**رد قلبى** » ليوسف السباعى ، و « **شىء فى صدرى** » لاحسان عبد القدوس ، و « **المزيفون** » لمحمود تيمور ، و « **الصفقة** » لتوفيق الحكيم .

واذا رجعنا الى كتابات ما قبل الثـورة بنظرة عابرة رأينا اعمالا تشريحية تومىء من بعيد مثـل قصص **نجيب محفوظ** التى تنتهى بالثلاثية المشهورة ورأينا نقدا صريحا لمهـازل الاحزاب والانتخاب والصحافة فى « **أرض النفاق** » و « **وراء الستار** » وقصص قصيرة كثيرة **ليوسف السباعى** . كما نرى مسرحية رمزية **لعلى باكثير** تشـبه ما يتذرع به الاستعمار فى البقاء بـ « **مسمار جحا** » وهذا هو اسم المسرحية .

ونعود بعد انتاج ما بعد الثورة وننظر ... ان معظمه لا يزال يتشبث بالماضي والذى كان .. اما الحياة الجديدة الذى بلغت الآن اثنى عشر عاما وما جد فيها .. فلا نجد فى الكتابة عنها ذات المستوى الأدبى الا القليـل ، من هـذا القليـل « **نادية** » و « **جفت الدموع** » و « **ليل له آخـر** » **ليوسف السباعى** ، و « **السماء والخريف** » **لنجيب محفوظ** ، و « **لاشيء يهم** » **لاحسان عبد القدوس ، التى قلت فى كلمة سابقة انه خلط فيها عمـلا صالحا وآخر سيئا واعنى بالسيء الجنس** .

وهنا نقف عند ما بدأت به هذه الكلمة من **ان الثورة قد سـبقت الأدب وخلفته وراءها مبهور الانفاس لا يستطيع اللحاق بها** . وهذه الحقيقة قد سجلتها اللجنة الثقافية بمجلس الامة فى تقـرير قالت فيه :

« **وتلاحظ اللجنة انه على الرغم من الجهـود الكبيرة التى بذلت خلال الاثنى عشر عاما الماضية ، فان التحول الفكرى الذى ينبغى أن يصاحب التحول الاشتراكى ، ويسبقه ويبشر به ، فى حاجة الى مزيد من الجهد ، حتى يسير التحول الفكرى ، جنبـا الى جنب ، مع التحول المـادى فى مرحلة الانطلاق القادمة** » .

ولا شك انه من المفيد ان نبحث عن اسباب هذا التخلف وتنظر فى علته ، وهل هو يرجع الى الادباء انفسهم ، أو هو راجع الى ملابسات وعوامل اخرى ؟

اما الدولة فاعتقد انها يسرت كثيرا مما كان عسيرا وبخاصة فى مجال النشر ، سواء عن طريق مؤسسات الكتاب ونشره ، ام عن طريق المجلات الادبية الوفيرة التى انشئت فى العلم الماضي ولا تزال تنشأ . كما هيأت الصحف الكبيرة ، صحف الشعب ، لكثير من

الأدباء فرص الانتاج الأدبى بتعيينهم فيها محررين وكتابا ادبيين متخصصين .

يضاف الى ذلك الجوائز الادبية المختلفة والمسابقات المتعددة التى ينظمها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ومنح التفرغ للأدباء من وزارة الثقافة ولطلاب الدرجات الجامعية من المجلس الأعلى ، وكذلك ما يفعله المجلس من نشر الكتاب الاول والرسالة الجامعية وغيرها ... وكذلك المسارح المتعددة التى انشئت واصبحت مجالا متسعا للتأليف المسرحى .

حقا ان هناك اركانا فى تلك النواحى تحتاج الى عناية اكبر وعمل اجدى ، مثل تفرغ الأدباء فى الوزارة ، ومثل ما يرجى من تنظيم للمجلات ، وهناك ايضا تكاسل النقاد فى الصحف عن تناول الاعمال الادبية بطريقة جدية بعيدة عن مهازل « الشلل » . وهناك كذلك قلة العناية بانتاج الناشئين .

ولكن الذى لا شك فيه ، وبرغم نواحى النقص الماثلة، أن تلك الوسائل والمنشآت التى وفرتها الدولة للادب فى السنين الاخيرة ، ذات شأن كبير فى الحركة الادبية ، وسيكون هذا الشأن اكبر فى المستقبل القريب ، فبعض المنشآت لا تزال فى اوائلها وتجاربها الأولى . وهنا مشروعات أخرى فى سبيل الظهور ، مثل المشروعات التى اقرها المجلس الأعلى وستنفذ قريبا ، كبيت الابداع الأدبى والفنى ، ومشروع الكتاب الوصفى للبلاد العربية ، والرحلات الداخلية والخارجية ، وغيرها .

والواقع ان تلك الوسائل المادية ليست كل ما يسرته الثورة للأدب ، **بل هناك امر اخطر .. امر معنوى ، هو انها لم تتدخل فى حرية الأدباء ، بل تركت جميع الازهار تتفتح .**

ولكن مسألة « تفتح جميع الازهار » استغلت من جانب الأدباء على نحو لا يفيد فى التعبير عن حياتنا الجديدة بكل ما تعج به من قيم ومثل والوان جديدة فاننا اذا استثنينا ذلك الانتاج القليل الذى اشرنا اليه ، واذا استثنينا انتاجا آخر لشبان موهوبين نشر بعضه ونلمح بعضه فى المسابقات التى ينظمها نادى القصة والمجلس الأعلى فى اثناء فحصنا للمواد المقدمة ، ونرى فيه — على قلته بين الكثير المقدم الغث — ملامح المجتمع الجديد ونبضه ، معبرا عنها تعبيرا ادبيا ناضجا — اذا استثنينا هذا وذاك فماذا نرى ؟

طاقات ادبية تستهلك فى اشياء عقيمة ..

رجوع الى « ما وراء الطبيعة » بالبحث فى الغيبيات والكليات الفلسفية الميتافيزقية ، مما يجنى على المتعة الأدبية ، ويشغل مكان المضمون الاجتماعى المطلوب . وقد يحقق هذا الانتاج اغراضا عقلية عند منشئيه ، ويجد صدى مماثلا عند بعض النقاد . **ولكن هذا الشعب ، هذه الجماهير التى نريد ان نصنعها ثقافيا ونخلق فيها وجدانا اشتراكيا جديدا .. اين التعبير عنها وعن اهتماماتها ؟**

واستمرار بل امعان عجيب فى التصوير الجنسى الذى يهدف الى الكسب المادى والشهرة على حساب الفن الصحيح والادب القويم ، وقد ضج مجتمعنا الحاضر من هذا السلوك ، واعلن عليه الثورة التى نرجو ان تحقق اغراضها .

ثم هذا « اللامعقول » الذى هو ابعد شيء عن حياتنا واهتماماتنا ، ولا يحقق شيئا مما نهدف اليه غير ارضاء المصابين بعقدة الخواجة ..

ومسرحيات عرضت فى الموسم الماضى ، لا تعبر الا عن « تهجيص » مؤلفيها ، وقد نالت « تهبيص » اصدقائهم من الكتاب والنقاد ..

كل ذلك كان استغلالا سيئا لمبدأ « **دع جميع الازهار تتفتح » على اننا اذا تأملنا هذا المبدأ نفسه نجد انه انما يعنى « الازهار » فقط ، وليس ذلك من الازهار فى شيء . ومن حقنا ان نطالب — باسم الشعب — الا تستغل ادوات الشعب فى نشره ، فان معظمه يقدم على مسارح الدولة ، وينشر فى صحف الشعب . ومما يؤسف له ان المروجين لتلك الالوان من الانتاج يتصدرون اماكن قيادية فى مجال الفكر يملكها الشعب ..**

اننى لا اريد ان يقال لمنتجى الآداب المجردة من اهتمام الشعب : دعوا هذا واكتبوا هذا .. فالأدب بطبعه يأبى القيد والاملاء .

انما ارمى الى عدم استئثارهم ، هم وانصارهم المطبلون لهم ، بالفرص ، واتاحة الامكانيات لهم كى يعتلوا منابر الشعب ويخاطبوه بغير مايهمه ولا يفهمه ..

ان اهم ما ينبغى للأدب ان يهتم به هو النقد ، نقد الحياة ، الذى اعتقد انه الوظيفة الوحيدة للأدب .

ونحن فى مرحلتنا الحاضرة احوج ما نكون الى هذا النقد ، نقد مجتمعنا الحاضر بكل مافيه من عيوب ونقائص ، وادعو الى الكف عن تملقه الضار به نفسه .. ومثلنا الدارج يقول : **يا بخت من بكانى وبكى الناس على ، ولا ضحكنى وضحك الناس على »** .

اننا ، حتى الآن ، اشتراكيون على الورق فقط .. اشتراكيون بالقوانين والنظم الثورية والنيات الحسنة العظيمة لقيادتنا الكبرى . اما ادراكنا واخلاقنا فهى دون المستوى الاشتراكى المنشود ، بل بعضها يعمل على اعاقته .

والخطر الكبير ان ذلك ليس مقصورا على عناصر رجعية ظاهرة فهذه امرها اهون ، وانما هو ملحوظ فى عناصر تتكلم باسم الاشتراكية .. اما بدجل ، واما دون فهم . والاشتراكية تقول لهؤلاء : **اللهم اعنى على اصدقائى ، اما اعدائى فانى اتكفل بهم .**

وهناك فئات من الشعب نالت حقوقا ، ولكنها لم تدرك بعد و لم يغرس فيها الخلق الذى يشعر بأن الحقوق تقابلها التزامات ومسئوليات .

كل هذا وغيره يوجد الآن فى مجتمعنا ، ولا اعرف للأدب مضمونا ولا اهدافا اجدر به منه .

واكرر القول بانه **يجب الكف عن تملق الشعب ..** انه شعب عظيم ويصنع المعجزات ؛ حسن ، ولكن اليس فيه عيوب ؟ هل بلغ الكمال المطلق ؟ هل اصبح « مدينة فاضلة » او « يوتوبيا » ؟ .

وذلك « **الضرب فى الميت** » واعنى فساد ما قبل الثورة .. اليس هناك غيره ؟ لقد اصبح مطية العاجز ، فمن ايسر الأشياء على اى مؤلف لتمثيلية اذاعية او تليفزيونية ان يحيى احد الأموات .. باشا اقطاعيا ، او صاحب مصنع ، راسماليا ، ويوقف امامه فلاحا او عاملا يصرخ فى وجهه ويخطب .. ذلك ايسر عليه من ان يتأمل الحاضر الذى يعج بالمشكلات والصراعات ويستمد منه موضوعا حيا يكلفه عناء التفكير والغوص فى الاعماق ..

وهناك وهم .. وهم كبير .. هو ان نقد المجتمع الحاضر قد يوهم بأن الجهود الاصلاحية الثورية لا تثمر .. وابسط شيء يرد على هذا الوهم هو ماتدعو اليه القيادة من النقد والنقد الذاتى ، بل تلح فيه وتبين ماله من دور كبير فى بناء المجتمع الجديد . على انه مما لا شك فيه ان جهود الاصلاح لا يمكن ان تثمر الا اذا اهتدت واستنارت بالنقد المخلص البناء الذى يوقفها على ما يعترض الطريق .

كشكول

● فوجئنا وفجعنا فى الأسبوع الماضى بنعى **الأستاذ درينى خشبه .**

كان الفقيد زميلا كريما من خريجى مدرسة « **الرسالة** » وقد عاش حياته يكافح بقلمه ، مؤلفا ومترجما ، مع معاناة اعباء الوظيفة وباسائها . حتى احيل منها الى المعاش . وظل يحمل القلم ويسدى الى بلاده اطيب الثمرات من روحه ومن عرقه ، حتى اسلمه الكدح الى المرض ، واخيرا اسلمه المرض الى الموت .

كان دريني خشبة يقاسي في حياته ما يقاسيه الشرفاء ، وهو راض قانع بما يقنع به الاعفاء ، قرير العين بالكلمة النظيفة الشريفة التى يخطها قلمه .

عزاؤنا عنه ذكراه الطيبة الخالدة .

● « **طه حسين الشاعر الكاتب** » كتاب صدر أخيرا للأستاذ محمد سيد الكيلانى ، تتبع فيه انتاج الأديب الشاب « طه حسين » فى ابان نشـــأته الأدبية ، واتى له بكثير من القصـــائد فى الاغراض المختلفة ، اذ كان همه الأول قول الشعر ، ومن شعر طه حسين قوله يخاطب الانجليز فى قصيدة نشرها سنة ١٩٠٩ :

فيمموا غير وادى النيل وانتجعـوا
فليس فى مصر للأطمــاع متسع

كفوا مطامعكم عنـا ، أليس لكم
ممـا جنيتم وما تجنونه شـبع

والكتاب يدل على جهـد طيب مثمر فى الدراسة الأدبية وتتبع النواحى الطريفة الخفية فى تاريخنـا الحديث .

● ظهرت طائفة من كتب التراث الحـديث فى مشروع المكتبة العربية ، منها « **عيسي بن هشام** » و « **ليالى سطيح** » و « **يحكى أن** » و « **ســخرية الناى** » و « **احســان هانم** » و « **درس مؤلم** » و « **عذراء دنشواى** » .

لم يكتب عنها احد من النقاد ، مع انها جذور ادبنا القصصي الحديث ، ولعل هذا الاهمال لان مؤلفيها غير موجودين فيجـاملون ... اقترح على البرنامج الثانى للاذاعةان يناقشها فيبرنامج **(مع النقاد)** .

● « منذ ديسمبر سنة١٩٦٣حتى اليوم لم اتسلم كتابى الأول عن « **الأدب فى حماســة ابى تمام** » الذى قام بطبعه مشـكورا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وقد قمت بتصحيح « بروفاته » فى ذلك الشهر (ديسمبر) . ويرجع سبب التأخير الى ان الأستاذ مفيد جيـد — فيما سمعت — قد صمم غلاف الكتاب مستوحيا التصميم من فكرة الحماسة فكانت صورة حصان واقف ، غــير انه لوحظ ان راس الحصـان ينبغى ان يرتفع قليلا ليدل على الاباء والشمم ، فاستغرقت عملية رفع راس الحصان نحو ثلاثة اشهر ، ثم مضت ثلاثة أخرى ولا أدرى على وجه التحقيق سر تأخير الكتاب علما بأن اصـوله سلمت الى المجلس فى ديسمبر ١٩٦٢ » .

ماهر محمود البقرى

جراد اول : بجمرك الاسكندرية

ارجو ان يعمل العاملون فى انجاز الكتاب على ان يظل راس المجلس الأعلى مرفوعا ، كما حرصوا على رفع راس الحصان ..

● يلومنى الأخ **عثمان صبرى** بالاســكندرية ، لانه اهدى الى كتابه « **نحو ابجدية جديدة**»ولم اكتب عنه ولم انوه به ، على حين خصصت خمسة سطور فى الكشكول لظهور قصة جنسية لموسي صبرى.. ويقول : « **تهتم مجلة الرسالة (المجـلة الاسبوعية للآداب والعلوم والفنون) بتعريف قرائها الأدباء.. (وضع خطا تحت الأدباء) بظهور قصة جنسـية وتهمل اهمالا تاما تعريفهم بظهور كتـاب أدبى اجتماعى هام . فياضيعة الأدب !)** » .

اولا — لم يصلنى الكتاب .

ثانيا — فهم « المؤلف » مما كتب عن نشر قصة جنسية بمجلة صباح الخير اننا نعرف بهـا ، ولم يلتفت الى المرمى النقدى لمـا كتب عنهـا .. **فيا ضيعة جهودنا !**

ثالثا — ارجو ان يكون ادراكه للأمور فى كتابه مختلفا عن ادراك ماكتب عن تلك القصة .

« عباس خضر »

حول الأدب في إسبوع

يقدمه : عبده بدوى

الثورة .. والادب

لا زلت أذكر هذه الجلسة التى قدر لها أن تناقش التزام الفنان بمخططات الدولة ، أو تركه حرا ينفذ مايريد .. فى جلسة من جلسات التفرغ ، وقد كان الاعضاء حريصين على أن يقولوا كلمتهم الحاسمة فى هذه الجلسة التى كان يشهدها **العقاد ، وطه حسين ، ومحمد عوض محمد ، وزكى نجيب محمود ، وعبد الفتاح رزق ، وعلى الراعى ، ومحمد فتحى .**

ثم كانت عملية الالتفاف الكبير حول حرية الفنان حرية مطلقة ، وان كانت الجلسة لم تخل من يرتفع به صاحبه يصبح جماعيا ، وان المحلية التشكيلية .

وقد ذكر الأعضاء فى هذه الجلسة أنه لا تعارض بين الفردية والجماعيه ، وأن الذوق الفردى حين يرتفع به صاحبه يصبح جماعيا ، وان المحلية لا تتنافى مع العالمية

وذكر أن الفن القومى يجب أن يكون تلقائيا بدون تعمد ، وان كل مغامرة جديدة لابد ان يكون لها أساس .. لابد ان تنطلق من قاعدة مقررة ، صحيح أن « كولومبس » غير اتجاهه — فى عالم الاكتشافات الجغرافية فى نهاية الامر ، ولكن ماقام به فى اول الامر كان على أساس مقنن وواضح وذكر أيضا أن كل فن بعد التحليل له أساس فردى ، ولكن يجب أن يرتكز — فى تقديمه — على أساس جماعى ، وأن الصراعات الفنية الموجودة اليوم لم يخل منها القديم أبدا ، ثم كان أن ضرب احدهم مثلا للسريالية القديمة بأبى الهول .

كما ان أكثر الأعضاء قد اتفقوا على أن بعض الاتجاهات الحديثة السائدة ليست اصيلة ، ولن يقدر لها الاستمرار ، وانه حين « **تخف الحضارة** » يكثر هذا اللون الذى لا يتعمق التجارب والقضايا .

وهكذا انتهت اللجنة الى قرار حاسم يقضى باعطاء الفنان حرية مطلقة ، وان الرقابة عليه يجب أن تكون من نفسه لا من الدولة !

وقد كنت من السعداء وانا أتلقى هذا القرار الأخير من اللجنة ، وان كانوا قد حرصوا على أن يتعرفوا موقف الدولة من هذا القرار ، ثم كانت الاجابة من المسئولين بأن للقرار الذى اتخذته اللجنة احترامه ، وأن الدولة لن تفرض على الفنان اتجاها معينا .

وفى ضوء هذا رأينا الادب المعاصر — فى ظل الثورة — يتنفس فى جو صحى ، فقد أخذ يرفض بعض الاشكال القديمة ، ويقوم بسلسلة من التجارب على كافة الأشكال التى يمارسها ، وهو فى أثناء ذلك قد يبالغ فى هذه الحرية ، ولكنه يحس فى الوقت نفسه أن الدولة لا تضغط عليه ، ولا تشده شدا الى مالا يحس به .

ومن هنا رأينا « قصيدة النثر » فى الشعر ، واللامعقول فى المسرح ، والتجريدية والسريالية فى الفن التشكيلى ، ورأينا تجاوزا عن القوانين الراسخة فى القصة والرواية .. ومع كل هذا فان أحدا لا يستطيع أن يرفض أن التعرف على الاشكال الحديثة مما يثرى الادب والفن .

بل ان الذى لاحظناه ان الاشكال « الراسخة » قد استفادت من هذه الموجات الغاضبة ، فالشعر التقليدى قد وصل عند بعض الشعراء الى حد الهمس ، وعمق رموزه ، واقتحم عوالم جديدة فى النفس وفى خارجها ، بحيث أصبح حديثا مصورا منغوما مع الشاعر ونفسه ، والشاعر ومجتمعه ..

والمسرح الملتزم بالقوانين أصبح يقتبس تداخل الحوار ، وكسر الايهام ، والتجول بين المشاهدين ، واضفاء وظيفة جديدة على الكورس ٠٠ والفن التشكيلي قد اكتسب نوعا من المرونة والحيوية والايحاء لم تكن لديه من قبل ٠

ولعل مايتصل بهذا ان هذه « الحرية » قد لمست جوهر الفن نفسه ، وأخذت تتعامل معه ، بمعنى أن الآداب والفنون قد كسرت الحواجز التى كانت تقف بين بعضها بعضا ، فاذا كان الشاعر مثلا فى القديم لا يتعامل الا مع مناخه الشعرى الخاص ، فانا نراه اليوم يقتبس من العمارة ، والنحت ، والرسم ، والموسيقى ، والسينما والمسرح ٠٠ بحيث يمكن امام بعض الشعر أن تجد هذا كله ، أو شيئا من هذا كله ، فهو قد يعطيك عملية الرسوخ فى القصيدة ، وقد يجاهد فى ان يحدد لك الصورة الشعرية حتى تصبح كالتمثال ، أو يلفها بالرمز والشفافية والتداخل بحيث لا تقل أثرا عن اللوحة المعاصرة ، أو يجعلها سيمفونية عميقة لها « تيمة » وتفريعات ، وتقابل وتعارض ، أو يجعلها « كادرات » مكثفة وسريعة ، وقد يجعلها عرضا قصصيا بسيطا ، أو لحظة درامية متوترة ٠

والمطلوب فى ضوء هذه العجالة ، الا يقدم الشاعر شيئا من هذا ، وانما يقدم « كل هذا » بمعنى ان يعطى كل فن فى حدود « تكنيكه » اللحظة الفنية الرائعة ، التى تحفل بها دائما لحظة الالتصاق بجوهر التجربة الثرية فى الفن ٠٠ ومن هنا يستطيع الانسان أن يقول انه « عاش مع الفن » لا مع عنصر من عناصر الفن !

ولعل مما يساعد على هذا أن الفنان - فى ظل الثورة - قد أصبح يصدر عن نظرية انسانية شاملة ، ويخرج بتجارب جديدة لم يكن يتسع لها الشكل المتوارث ٠٠ فكانت عملية ولادة الاشكال الجديدة الى جانب الاشكال القديمة ، وكانت لحظات العمق التى تعصم الفنان من التعلق « بشواشى » التجربة ، وكانت أخيرا عمليات تقارب الفنان من الشعب ، ومن القضايا الكبيرة التى تلف العالم بين الحين والآخر ونحن حين نرى عملية الصراع بين القديم والجديد ، أو عملية « التوفيق » بينهما لا نشك انه - بعد الخروج من المعركة - يصبح كل منهما كما كان فى أول الأمر قديما وجديدا ، لان الذى يحدث دائما ، أن القديم يستفيد من الصراع فيطور نفسه ، والجديد يستفيد من القديم فيقنن وجوده ، ويجعل له مبررات لا يمكن للحياة أن تغفلها ٠

ولعل مما يساعد على هذا ان الثورة قد « رممت » نفسية الأديب ، وجعلته يتعامل مع النقاء والخصب والاستشراف ، كما جعلته ينتقل من « الثبات » الى « الحركة » ، ومن الحدود المحلية الصغيرة الى الحدود الانسانية الكبيرة .

فالأديب يكتب اليوم وفى قلمه حاسة البناء . وفى نفسه كل ما هو قيم وشريف ٠٠ وهذه هى « النغمة الأصيلة » السائدة فى العمل الفنى اليوم صحيح ان هذه الحرية قد جعلت البعض « يخرب » فى بعض القيم التى لا يشك أحد فى ذكائها ، والتى تعتبر من مقومات العروبة ، أو يقف بحماسة متعمدة عند فترة من فترات بلد عربى وكان هذا البلد ليس « كلا » وانما اجزاء ينفصل بعضها عن بعض وفقا للهوى والغرض ، أو يكتب فى مصر بقلم ويكتب فى لبنان بقلم ، أو يزيف ، أو يدس ٠٠ ولكن كل هذه « الاعداد الصغيرة » تنحسر وتنكشف وتضع عليها كل عين « شارة » .. ولكن الذى لاشك فيه أن الحرية التى أعطتها الثورة للأديب والفنان كانت مباركة ، وكانت من ثمارها مانشاهده اليوم ، بل ما لانكاد نشاهده - لغزارته - فى كافة مجالاتنا الأدبية والفنية !

لغة لافريقية

يمكن القول بأن افريقية قد استعصت على الحضارات الخارجة عنها ، فاذا كانت الحضارة الفرعونية لايزال لها أثر الى الآن فى أكثر من بلد افريقى ، بالرغم من أن هذا الأثر قد اندثر بعضه عندنا ٠٠ فان مما لاشك فيه أن خطوات الحضارة الفارسية قد توقفت عندهم ، وأن الحضارة الرومانية فى عهد الامبراطورية الرومانية الكبرى ، ووريثتها الامبراطورية الرومانية الشرقية .. لم يتجاوزا عدة قطاعات من الشمال الافريقى ، وأن تاثير هذه

الحضارة كان قشريا لان رجالها كانوا يفصلون بين أنفسهم وبين البلاد التي يضعون أيديهم عليها .

أما الحضارة التي نفذت الى القارة ، ومدت جذورها الى أكثر من مكان في شرقها ، فقد كانت القوى العربية قبل الاسلام .

ثم حين قدم الاسلام وجدناه يحاصرها من الشرق والغرب والشمال ، ويكون له مايذكر بالهلال حين نحدق في خريطة لافريقية على حد تعبير « هوبير ديشان » ، ويكفي للتدليل على خطورة هذا الدور انه قام في الماضي جنوب الصحراء الكبرى عشر دول اسلامية هي : غانا ، وصوصو ، ومالي ، وصنغاي ، واليوروبا ، وبرنو ، والحوصة ، وكانم ، وموسى ، وبمبارا .

وقد كان من الطبيعي لهذا أن نجد ان **اللغة العربية** ، هي أقدم اللغات المعاصرة **في القارة** ، واي متجول في افريقية الآن يستطيع أن يسمعها آيات من القرآن ، وأحاديث من الرسول ، ولغة نقية ، أو متداخلة على بعض اللغات الأخرى في غانا ، والسنغال ، ومالي ، وبوروندي ، والكمرون ، وجمهورية افريقية الوسطى ، والكونغو ، وداهومي ، وجابون ، وغينيا ، وكينيا ، وليبيريا ، وتنجبار ، وكينيا ، والصومال ، واوغنده ، ونيجيريا ، وجنوب السودان ... الخ .

فاذا تركنا اللغة العربية ، باعتبارها أقدم اللغات هناك ، وجدنا أن اللغات الكبيرة بها تتمثل في **السواحلية ، والهوسة ، والرطانة** ، ولعله ليس من الغريب أن يقول اللغويون على السواحلية انها بنت العربية ، وان الهوسة ، بنت أختها ، وان الرطانة - في جنوب السودان مثلا - تمت اليها بصلة ، ذلك لأنها وراء هذه اللغات بتراكيبها ، وألفاظها ، واشتقاقها .

وما نريد أن نصل اليه هو أن افريقية الآن « **بغير لغة** » وان هذا ما جعل كوامي نكروما في أول عهد بلاده بالاستقلال يؤكد في البرلمان أنه يأسف لأنه يخطب بالانجليزية ، وانه في انتظار اليوم الذي تختار فيه القارة لغة من اللغات التي تعيش فيها ، وان أكثر من شاعر صرخ - في غرب افريقية - بان بلاده تتمزق في كلمات فرنسا الباردة .

والحقيقة تؤكد انه لا توجد لغة تصلح لافريقية مثل صلاحية اللغة العربية ، فهي من أقدم اللغات بها ، ويتكلم بها الشمال ، وتكثر في الشرق ، وتتناثر في الغرب والجنوب والوسط .. ولا يمكن أن تنافسها لغة افريقية في هذا .

فاذا أضفنا الى هذا أن تاريخ ما قبل الاستعمار لافريقية لايوجد الا في اللغة العربية ، وانه الوثيقة الوحيدة لكل من يكتب عنها .. أدركنا أن اللغة العربية في حاجة الى الافريقيين ، وأن الافريقيين في حاجة اليها .

فما من أحد يستطيع معرفة ماضي القارة الا من خلال ماكتبه الاصطخري ، ومحمد الأندلسي ، والبكري ، والمسعودي ، وابن حوقل ، وابن سعيد ، وابن فاطمة ، والعمري ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والحميى ، وجلال الدين السيوطي ، والتونسي ، وابن خرداذبة ، والشريف الادريسي .. .. الخ .

ان مما لا شك فيه ان موضوع « **لغة لافريقية** » يشغل الكثيرين من السياسيين والمفكرين في افريقية ، ذلك لأنه لابد أن يأتي اليوم الذي يطالبون فيه بلغة من داخل القارة تكون قد مرت على السنة الكثير منهم ، وتكون قد « **تأفرقت** » في بعض الأحيان ، وتكون محتفظة بشيء من تاريخهم القديم .. ومايدعو الى الطمانينة أن الشروط المطلوبة في اللغة التي يراد ان تكون لغة القارة ، وان السوابق التاريخية في مثل لحظات الاختيار هذه ، لن يكون السبق فيها الا للغة العربية . . ولعل الذين لا يجدون حجة حاسمة للغة العربية غير ان يظل العالم العربي مفهوما لدى بعضه البعض ، يجدون في هذا حجة للغة العربية ، لأننا نرجو ان نكون كذلك مفهومين في القارة الافريقية !

« **عبده بدوي** »

الكتب

نقد وتعريف

يقدمه محسن عبد الحى



المفهوم الاستراتيجى للثورة

تاليف : عبد الرحمن ابو الخير

يحتفل شعبنا اليوم بالذكرى الثانية عشرة لقيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة .. وعندما تحتفل جماهيرنا بذكرى قيام الثورة تعلم تماما ان هذا الاحتفال — كما هى العادة دائما — لايكون فى صورة الافراح والزينات والاستعراض العسكرى السنوى لقواتنا المسلحة فحسب ، بل هو ايضا عيد الالتقاء المباشر بين القيادة الثورية التى يمثلها الرئيس جمال عبد الناصر والجماهير التى منحته ثقتها ومسئولية قيادتها فى نضالها اليومى المستمر نحو التقدم والبناء .. ولقد تعودت جماهيرنا ان تلتقى بقائدها عن طريق الحديث العلنى المباشر الذى يطرح فيه القائد على الجماهير ما يسمى بأسرار الحكم قبل وخلال وبعد كل معركة أو ازمة أو حدث كبير . ولقد أصبح هذا اللقاء على مسمع من العالم كله — أحد قوانين ثورة يوليو التى استنها قائد الثورة — وهو قانون يقضي باذاعة أسرار معارك التحرير ومعارك الوحدة ومعارك التحول الاشتراكى — ولقد كان العام المنصرم عاما حافلا بالاحداث الهامة المؤثرة فهناك معارك التحرير التى مازال يخوضها ابناء شعبنا فى الجنوب العربى تلك المعارك الدامية التى هزت الضمير العربى والعالمى .. وهناك معارك الوحدة العربية الشاملة امل شعبنا من المحيط الى الخليج .. ولقد تميز هذا العام ايضا باللقاء الحى المتفاعل بين ثورة شعبنا فى العراق واليمن بقاعدته فى الجمهورية العربية المتحدة — فى الوقت الذى وضعت فيه الأسس المتينة لالتقاء الجبهات الثورية فى وطننا الكبير على صعيد العمل القومى بصورة تساعد على ايجاد الوحدة والتماثل فى أساليب العمل والنضال من اجل مستقبل وحدوى تقدمى افضل لجماهيرنا .

ان تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق وما صحب هذا التنظيم من قوانين وقرارات اشتراكية — وكذلك التقاء الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية — كل هذه الخطوات تؤكد ان القومية العربية اليوم بعد ان تطورت ليست اطارا سياسيا يجمع بين مجموعة من الناس فى مجتمع واحد فحسب ، وانما هى نظرة شاملة لحياة الانسان فى مجتمع طبيعى منسجم ومتفاعل .

ولقد توجت ثورة ٢٣ يوليو العربية اعمالها هذا العام بالاسهام فى انعقاد مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى القاهرة — وفى مبنى الجامعة العربية — لتؤكد ماقاله الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة الافريقى الأول الذى عقد فى أديس أبابا — عندما قال فى خطابه :

« ان الجمهورية العربية المتحدة أتت الى هنا بقلب مفتوح ، وعقل مفتوح وتقدير للمسئولية ، فهم بالنية الصادقة — وهى مستعدة أن تتحمل الى كل الحدود مسئولياتها التاريخية تجاه قارتنا . »

واذا اضفنا الى ذلك الصور المتعددة لمشاركة الجمهورية العربية المتحدة الفعالة ومساندتها للحرية فى كل مكان من العالم نستطيع أن نرى أن ثورتنا العربية — ليست ثورة ذاتية ومغلقة ومنعزلة ضمن حدودها الجغرافية — ولكنها ثورة ممتدة الى خارج تلك الحدود نحو آفاق الانسانية الرحبة ..

وثورة ٢٣ يوليو بواقعها التقدمى ونظرتها الشاملة نحو مستقبل افضل للعرب وللانسانية جمعاء تؤمن بالتضامن والمشاركة الموضوعية بين النضال العربى الذى تمثله — ونضال الشعوب فى كل مكان وبخاصة

في افريقيا وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر تأكيدا للحقيقة الطبيعية التي تجعل ستة من شعوب الأمة العربية — بالحدود والعمل والمصير المشترك — جزءا لا يتجزأ من القارة الافريقية العظيمة .

وقد استطاع الرئيس سيكوتوري أن يوضح دور حصر الثورة في مجال العمل العربي الافريقي المشترك حين قال في خطابه في المؤتمر ..

«وسوف تعمل القاهرة على خلق افق اوسع للتفاهم بين العالم الافريقي والعالم العربي ، اذ ان مصر تعتبر خير حلقة اتصال بين هذين المجتمعين اللذين يصدمان بصعوبات خلقها الاستعمار وولدتها الامبريالية ..

ان هذا التشابك في المصالح سيكون الاساس الذي يقوم عليه العمل المشترك الذي يستهدف مستقبلا افضل للانسانية » .

وهكذا سيكون لقاء هذا العام بين الرئيس القائد والشعب العربي — لقاء عظيما ورائعا مدعما بالمنجزات الكبيرة والمتعددة في مختلف الميادين والجبهات القومية والعالمية ...

ولا شك أن ثورة ٢٣ يوليو العربية بحيويتها وقدرتها ومنجزاتها وارتباطاتها الاقليمية والقومية والعالمية مازالت فيحاجة ماسة الى مزيد منالنضال والعمل المستمر من جانب مرتكزاتها النضالية الممثلة في القطاعات المختلفة لجماهير شعبنا .

وكتاب اليوم — كتاب يتحدث عن المفهوم الاستراتيجي للثورة — وعلى الرغم من انني اومن بأن مجتمعنا يحتاج في هذه الفترة الى مزيد من الاعمال الفكرية التي تتميز بالصدق والموضوعية لتجسيد وبلورة الخطوطالعامة للمنجزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للثورة — فانني اقدم هذا الكتاب ليس لانه — في محتوياته واسلوبه ومنهجه — هو الذي نريد ولكن لانه احد النماذج العديدة من الكتب التي قدمت وما زالت تقدم عن ثورتنا ، وليس بها اية اضافة جديدة سوى الاجترار المستمر لأحداث مضت وتسجيل مبتور لأشياء نعيشها ..

فالكتابيحدد الهيكل الطبقي لمجتمع ما قبل الثورة على اساس ثلاث فئات هي .. الطبقة الاقطاعية والطبقة الوسطى المنقسمة على نفسها حزبيا ثم الطبقة الدنيا « طبقة العمال والفلاحين » فيقول الكتاب .. ص ٢٤ .

وهكذا كان هيكلالمجتمع الطبقي قائما علىطبقاته الثلاث ولكل منها قيمة اجتماعية ، تنطبع على جبين الفرد المنتمي الى الطبقة كعلامة مسجلة ، هذا فلاح ، وذاك عامل ، وذاك وجيه وهذا باشا وابن ذوات .. الخ ..

وبعد قيام الثورة الغيت الالقاب — ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ تهدمت الهيكل الطبقي القديم واقامت بناء اجتماعيا جديدا مؤسسا على الحرية والمساواة والعدل وثورتنا ثورة صاحبة رسالة اجتماعية ، قد شهدنا واقعها التطبيقي ، في ذلك الهيكل الانساني للمجتمع الذيتبنيه الثورة على ارض الشعب العربي في مصر . وهنا تكمن استراتيجية الثورة..هدم الهيكل الطبقي اللاانساني الذي ساد المجتمع مئات السنين ، واقامة مجتمع جديد مؤسس على هيكل اجتماعي ، انساني في خصائصه وسماته التي تنعكس على مظاهر الحياة في المجتمع وعلاقات الافراد ومستويات معيشتهم .

ان استراتيجية الثورة في الحقل الاجتماعي تكمن في هذا التأثير الناجح في المجتمع ، في اقامة مجتمع الاشتراكية الانسانية على انقاض مجتمع الطبقات الاقطاعية والراسمالية وهذا هو ثمرة التفاعل الثوري مع البيئة المحلية ذلك التفاعل الناجح الذي غير معالم هذه البيئة المحلية ، تغييرا تاما ... وفي مجال دور ثورة ٢٣ يوليو في العلاقات العربية يقول الكتاب ..

« لقد جابهت الثورة اوضاعا في الأمة العربية ليست هي المسئولة عن وجودها بقدر ما هي مسئولة عن تحطيمها ، لقد ورثت الثورة في الامة العربية من هذه الاوضاع .. التخلف السياسي — والاستعمار — وضياع الشخصية الدولية للأمة العربية — وكذلك التخلف الاقتصادي — ومشكلة فلسطين والضعف العسكري — والتخلف الثقافي والفكري ..

وانا اعتقد هنا ان المؤلف قد جانبه الصواب كثيرا في استعمال تعبير — ورثت الثورة كذا .. وكذا.. في الوطن العربي .. لان المجال هنا ليس مجال تملك — يورث باي شكل من الاشكال .. فثورة ٢٣ يوليو العربية — قامت على اساس مبادىء واضحة تلك المبادىء التي ساعدت على تنشيط ودفع الحركات النضالية في الوطن العربي الى مواجهة الواقع المجزأ للوطن — والى مجابهة الاستعمار ومؤامراته والى تحرير أجزاء كثيرة من وطننا — وثورتنا عندما فعلت ذلك ليس لانها تؤمن عن طريق الوراثة بذلك .. ولكن لانها تؤمن بان وحدة النضال والمصير المشترك لجماهير الشعب العربي وحدة — واحدة — وبخاصة ان العدو الذييواجهنا جميعا

هو عدو واحد .. وعندما قامت ثورتنا بتأميم القنال ودخلت معارك الاستقلال فى عام ١٩٥٦ — كان الشعب العربى فىكل مكان يكافح ويناضل فى جميع مجالاته وأوطانه لنصرة شعبنا فى مصر — وفى هذا الوقت احس الاستعماريون اننا لسنا وحدنا فى المعركة ولكن لنا اخوة حطموا انابيب البترول وآخرون هددوا بنسف منابع البترول ذاتها .. الخ .. الخ .. فاذا كنا هنا نساعد جماهير شعبنا فى نضالها المستمر من اجل الاستقلال وبناء حياة افضل للأمة العربية — فاننا بهذا النضال وهذه المساعدات انما نناضل من اجل انفسنا ايضا .. وعلى الرغم من ان ذكر نحن وهم — تحمل فى طياتها نزعات اقليمية واضحة — فاننا اضطررنا الى ذلك هنا لتوضيح بعض النقاط الهامة .. وهى انه قد اصبح من الضرورى بمكان ان تتلاشى هذه النزعات الاقليمية الضيقة وان يبدا مفكرونا وكتابنا فى النظر بعين الاهتمام الى اننا رغم اوضاعنا المجزأة فى وطننا الكبير اصبحنا — شعبا واحدا فى تطلعاته واهدافه وآماله وخاصة ان الوحدة الدستورية لم تعد هى المظهر الوحيد للوحدة العربية الشاملة .

ولقد كان المؤلف اقرب كثيرا الى الصواب عندما ذكر فى صفحة ٥٢ مايلى ..

« ولقد انتصرت الثورة لقضية الحرية فى العالم العربى بحكم رسالتها القومية واستراتيجيتها فى بيئتها القومية — وكان من نتائج ذلك أن تحررت البلاد العربية من الاستعمار البريطانى والفرنسى .. ويقول كذلك ..

لقد ضحت الثورة فى سبيل تحرير البلاد العربية بكل ما تملك ، لاجودا منها ولكن تضحية فى سبيل الرسالة والمبدا — الحرية والقومية العربية — وما زالت الثورة تعمل على تحرير امارات الخليج العربى ، وجنوب شبه الجزيرة العربية الذى مازال الاستعمار البريطانى جاثما هناك .. قابضا على تلك الارض العربية ، فى انتظار ساعة تصفيته ، فلقد غرب عصر الاستعمار لا فى البلاد العربية فحسب ، بل فى العالم اجمع ، وانحسر الاستعمار عن البلاد العربية بفعل الثورة ، صاحبة الوعى الشعبى وصاحبة رسالة الحرية .

وبالرغم من بعض الفجوات التى جاءت فى هذا الكتاب الا اننا لانستطيع ان نغفل بعض ماجاء فيه .. على ان الموضوع مازال فى حاجة ماسة الى دراسة مستفيضة تبعدنا عن جو الاطراء والمديح الذى لايفيد قضايا امتنا بقدر ما يسبب الضرر لها ..

اننا حملة رسالة الى العالم — هى رسالة الحرية والعدالة ولقد وصلت ارتباطاتنا القومية والعالمية الى مستوى يؤهلنا لان يكون لنا راينا الواضح فى المشكلات التى تواجه عالم اليوم ..

ان مفكرينا اليوم مطالبون اكثر من اى وقت مضي بان يقدموا المبررات الحقيقية لوجودهم واقلامهم فى ايديهم عاجزة عن ان تبرز الكثير من نواحى تقدمنا — بصورة موضوعية بعيدة عن المديح والاطراء — ..

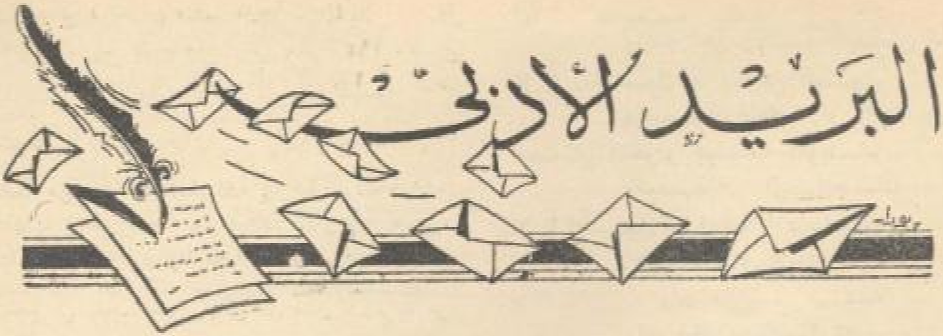
وعلى كل فان التفاؤل والامل فى المستقبل يجعلنا نؤمن بأن القوميين الحقيقيين والاشتراكيين الحقيقيين سوف يكون فى استطاعتهم ان يجدوا مكانهم الحقيقى بعيدا عن مظاهر التعفن الفكرى والتفسخ الطبقى الذى يستشرى بين معظم كتاب ومفكرى اليوم .. وسيكون دائما البقاء للاصلح

ونحن هنا اذ نحيى عيد ثورتنا العربية الكبرى نؤكد ايماننا بوحدة نضال جماهير شعبنا صانعة الحياة والمستقبل وصانعة وحدتها الشاملة ..

عاشت ثورتنا العربية الكبرى فى سبيل الاشتراكية والوحدة والحرية .

وعاشت امتنا العربية الواحدة

« تحسين عبد الحى »



شروق لا يعقبه غروب

بقلم عيسى متولى

كلما أقبل شهر ربيع الاول، أقبلت معه الذكريات العزيزة الحبيبة ، وتضمخت الاكوان بعبيرها الزكي ، ونسماتها العطرة ، ففى مطلع الثلث الثانى من هـذا الشهر الكريم ولد أشرف خلق الله ، وأحبهم اليه ، واكرمهم عنده ...

لقد عاشت الجزيرة العربية أحقابا طويلة فى ظلام دامس موحش ...

قوم يعكفون على أصنام لهم ، يتوسلون اليها أن تجيب دعاءهم ، وتشفى مرضاهم ، وتبارك خطاهم .. يقربون اليهـا القرابين ، ويخرون أمامهـا للاذقان سجدا ، بكرة وعشيا ! ..

وكيف يجيب الحجر الأبكم .. مهما علا النداء ، وطال التضرع والدعاء ؟! ..

وكيف يسمع الصنم الأصم .. وهل يسمعهم اذ يدعون ، وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ! ..

فى محيط هذه المعتقدات الباطلة ، عاشت الجزيرة العربية تلك الاحقاب البعيدة ، تتخبط فى ظلمـات بعضهـا فوق بعض ، وقد ران الشرك على القلوب ، فاعماها ، وحجب عنها اضواء الحقيقة ...

وأراد الله بالبشرية خيرا ، فبعث نبيه الهـادى الامين يحمـل مشاعل الهـداية والتوحيد ، ليقيل البشرية من عثرتهـا ، ويأخذ بيدها ليخرجها من الظلمات الى النور ...

وتحققت رؤيا « آمنة » سيدة الامهات ، اذ رأت قبل مولده قمرا يصعد من جوفها ..

أى قمر هذا الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، ليحيل الظلمة نورا ، والضلال هدى ؟ ..

انه « محمد بن عبد الله » .. اليتيم .. الامى .. الفقير .. خرج أبوه من الدنيـا قبل أن يخرج هو اليها ، فرعته السماء ! ..

لقد رأته أمه فى منامهـا قمرا ، ولكنه كان أعظم من ذلك ، فقد وصفه ربه بالسراج المنير ... وهو نفس الوصف الذى وصف الله به « الشمس » .. مصدر الحياة ، والدفء ، والنور !! ..

ولنقف لحظـة صمت ، خاشـعين ، أمام الآيات البينات ، ولندع لها الحديث :

« يا أيهـا النبى انا ارسلنـاك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه **وسراجا** منيرا » ...

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس **سراجا** » ...

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها **سراجا** وقمرا منيرا » ...

« وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنـا **سراجا** وهاجا » ...

نفس الوصف الذى أطلقـه التنزيل المجيد على « الشمس » أطلقه على «محمد» .. الشمس التى لن تغرب ! .

ولم يبالغ « شوقى » فى مديحه ، حين قال :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

سيدى يا رسول الله ..

نفحة من نفحاتك، الطيبات، الزكيات، العاطرات، نستلهمها ونحن نمجد يوم ميلادك الكريم ، تضيىء أمامنا السبيل ، وتهدينا سواء الصراط ...

نفحة من نفحاتك ، تهدى من ضل ، وتزيد من اهتدى هدى ...

تعلم من جهل ، وتزكى من علم ...
تقوى من وهن ، وتزيد أخا القوة بأسا ...
تذكر من نسى ، وتزيد الذاكر ذكرا ...
تدنى من بعد ، وتقرب من دنا ...
تسعد من شقى ، وتضاعف سعادة من سعد ...
تعطى من حرم ، وتجزل العطاء لمن أعطى ...
تصل من قطع ، وتدنى من وصل ...
سيدى أبا القاسم ...

لقد سعدت بزيارة روضتك الفيحاء أياما تفضل العمر ... وعشت فى رحابك ساعات وساعات : تولى الدمع فيها عن القلب الحديث ...

وكل ما أبتغيه ، سيدى يا رسول الله ، أن أسعد بلقاء قريب ، قبل أن تطرى صفحة العمر !! ...

من وحى المولد النبوى

للشاعر : عبد البارى ابو العينين

مقامك أعلى فى النفوس وأرفع
وحبك أسمى فى القلوب وأوقع

لذكراك فى نفسى انتعاش ونشوة
فذكراك أجدى للشباب وانفع

وخير ادكار للشباب وعبرة
شعاع به كل الدجى يتقشع

شعاع به سار الشباب وقائد
أعز من الحصن الحصين وامنع

ملائكة الرحمن من بعض جنده
ولكنه من ضيغم الغاب اشجع

ينابيعه بالمعجزات تفجرت
وآياته من وجنة الشمس اسطع

الا يا رسول الله انا على الهوى
وباسمك للتحرير والمجد نهرع

اقمت على التحرير جيشا موحدا
وشعبا الى امجاده يتطلع

الا يا رسول الله قومك ما رعوا
زمامك بل فاتوا هداك وودعوا

حنانيك ياطه ترفق بأمة
رأت فيك محياها فجاءتك تضرع

فانت لها النبراس فى حالك الدجى
وانت حبيب الله انت المشفع

ويا مصطفى قد طبت حيا وميتا
وفى روضة التاريخ روضك اينع

وعفوا اذا كان البيان مقصرا
فلولاك ماكان المغرد يسجع

فى أعقاب عيد ميلاد العقاد

بقلم : أحمد محمد المطيرى

احتفلت الأوساط الأدبية فى العالم العربى ببلوغ خمس وسبعين عاما على ميلاد فقيد الفكر العربى الأستاذ العقاد ولهذا أصدرت دار المعارف فى سلسلة « اقرأ » كتابا هو فى مضمونه تأريخا لحياة العقاد وان تواضع مؤلفه الدكتور شوقى ضيف وسماه « مع العقاد » وكذلك أصدرت « دار الهلال » كتابها الشهرى بعنوان « أنا » وهى بحوث قيمة كتبها العقاد عن نفسه وقدم لهذا الكتاب الأستاذ طاهر الطناحى . هذا وتذخر الصحف والمجلات العربية ببحوث ضافية كلها عن آثر الفقيد فى حياتنا الفكرية ، ولو قدر للفقيد أن يعيش حتى يكمل هذه الحلقة من عمره الحافل الذى بلغ ثلاثة أرباع قرن لكان مثار أسئلة وأحاديث بين الأدباء والمتأدبين وبين الفقيد . واذا كانت الأقدار قد حرمتنا من هذه المتعة الفكرية فان هذا لا يمنعنا أن ننقب فى تراث الفقيد فنراه كيف كان يستقبل أعياد ميلاده ان هناك قصيدة رائعة استقبل بها أحد أعياده وفيها يقول :

يوم ميلادى تقدم
وتاخر .. وتكلم

لا تقل لي قبل عام
كيف كنا ·· ؟ انا أعلم

لا تقل لي بعد عمري
كيف نمسي لست تعلم

غاية الأمـر الظانيـ
ين ، وبعض الظن يأثم

ســـوف نمسي مثـل ماكـ
نا ، ولم نولد ونطعم

نظم المـوت اذا قلـ
ـت ، ظلام ليس يرحم

نحن لا بالمـوت اعطيـ
ـنـا ، ولا بالمـوت نحـرم

من بعـد يوم كمـا كا
ن فقـد تم وتمتم

صفقة الاعمـار فيهـا
قلة الخسران مغنم

رحم الله العقـاد فقد كان عيد ميلاده مضمارا يتبارى فيه تلاميذه فترى سباق القرائح الذي كان يثري حياتنا الأدبية وعلى سـبيل المثال اذكر ان الشاعر محمود عماد قد هناه بقصيدة عندما بلغ السبعين وفيها يقول :

ســموه عقـــادا
ولم اشهد عليه ماتعقد

سبعين عاما عمـره
في راى من احصى وعدد

وبراى من وزن النهى
سبعون قرنا بل وازيد

يارائد الادب الحديث
ومن اليه دعا وارشد

انى لاشهد ليس غيرك
من زعيم فيه اوحد

حتى بمحكمة العراق
اذا دعيت لذاك اشهد

ردود قصيرة :

جمال الدين سوداني ·· من تونس يكتب رسالة رقيقة ، ويدعو الى أن تكون مصطلحات « عروبة ، واخاء ، واسلام » في دائرة التطبيق في كافة مجالات حياتنا في كل بلد من بلدان العالم العربي ·

● **ابراهيم عبدالكريم ناصر** ·· يناقش ماسبق أن كتبه الدكتور عبد الحميد يونس عن العقـــاد « ·· ونحن الآن نتساءل هل يستطيع أحد من المحدثين ان يكتشف المفتـاح الذي يتمكن بوسـاطته أن يواجه أعماق شخصية العقاد ·· الخ » ثم يعلق بأن مفتاح شـخصية العقـاد يكمن في كلمـة واحدة هي « العصامية »

● **فاروق لوقا غبريال**·· يذكر انه تتبع المناقشة التي دارت بين تحسين عبـد الحي ، ومصطفى فوده حول كتاب « شمس ووحل » ويرتب على هذا بعض الملاحظات ، الا أنه ذكر أنه لم يقرأ الكتاب «المنقود» والرسـالة تعد الاخ فاروق أن تنشر ما يريد بعد أن يعود الى قراءة الكتاب ·

● **السيد هاشم القماحي** ·· يكتب خواطر ذكية تلفها الشاعرية والاستغراق في جمال الكون ، وقد جاء فيها :

« انشق عمود الصبح ، وانبثق النور في الافق ، وطوى الليل خيـامه ، ولمعت قمم الجبـال ، ومشت الدواب ، وسعى الناس ، هذا الكون يتحدث بعظمة الله حديثا أروع من كل حديث ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ! »

● ووصلت قصائد للرسالة من الشعراء **حاج محمد البراوى بعطبره ، واكرم مهدى التهيمى من العراق ، وعبيد الشامية ، ومن الشاعر فرحات عبـد الخالق** وصلت قصيدة بعنوان صحوة العملاق جاء فيها

زعماء افريقيا عداة شعوبهـــا
جمعت منـــاهم وحدة ووثاق

من كل موهوب القيـادة ملهم
يحـدوه راى في الدجى براق

قادوا طلائعهــا فهل هــلالهم
بين الغيـــاهب والزمان محاق

حملوا على أكتافهم عبء السرى
والعبء ضـــخم لا يكاد يطاق

حى الذين تجمعـــوا وتآزروا
وسرى لهم في الخـافقين وفاق

يا للقرارات التي قـد أبرمـت
فقراتهـــا ·· فبنودها ميثاق

صاحب القصر

للدكتور نجيب الكيلاني

الرايات السوداء تخفق فى كل مكان ، وبريق السيوف تحت وهج الشمس يكاد يخطف الابصار ، وعشرات الالوف من الجنود ينطلقون فى شتى الانحاء ، هاتفين بالنصر العظيم ، مظهرين تأييدهم وولاءهم للعهد الجديد ، عهد بنى العباس ، ودماء اعدائهم من بنى امية ومن والاهم تخضب الرمال الصفراء ، والتاريخ يقف ليسجل لحظة حاسمه من اخطر اللحظات قيام دولة وافول دولة اخرى ، وانتقال التاج من راس الى راس ، والسادة القدامى يتحولون الى اصاغر يهددهم الموت ، ويستولى عليهم الذعر ، والمضطهدون بالامس يصبحون سادة وامراء يملكون العزة والصولجان ..

وعلى الطريق رجل ملثم ، يجرى ويلهث ، وقلبه يدق من الخوف ، يتلفت يمنة ويسرة ويصيخ السمع لكل صوت وحركة ، انه يترقب الموت فى كل خطوة يخطوها . لقد كان ابراهيم ـ وهذا هو اسمه ـ رجلا مرهوب الجانب ، وكان سيفا من سيوف بنى امية ، يتصدى لاعدائهم ، ويناضل من اجل تثبيت دعائم ملكهم ، ويضحى باعز ما يملك فى سبيل الحكم الذى آمن به وناصره ، لكن ابراهيم عاش حتى اندلعت ثورة بنى العباس ، وانهار حكم الامويين ؛ ولم يعد هناك ادنى امل فى عودة الخلافة الى بنى امية ، وابراهيم رجل معروف ، وخصومه كثيرون ، ولن يرحمه احد فقد كان مبالغا فى تأييده للامويين ، قاسيا فى حربه على اعدائهم ، والثار يطارده فى كل مكان ، ولا نجاة له من الموت .. فماذا يفعل ؟؟ لاشىء سوى أن يتخفى ، ويضرب فى الآفاق بعيدا عن بلده وذويه ، متجنبا الظهور والمخاطر ما امكن ، حتى تستقر الامور ، ويهدأ غبار المعارك ، ويأمن على نفسه فيعود الى بلده واهله مرة اخرى ..

لكن الحر شديد ، وحلقه قد جف تماما من شدة الظما ، وبدا ابراهيم يشعر بالدوار فقد تحالف الجوع مع الظما والخوف حتى كاد يرتمى على الارض مغشيا عليه، ومع ذلك فقد كان يغذ السير ، حتى بصر بقصر صغير ، تحوطه حديقة وارفة الظلال ، تتوسطها نافورة يتدفق منها ماء عذب ، وبدا الماء فى عينيه كاشهى شىء فى الوجود ، لكن فوق صارية البيت راية سوداء تخفق فى زهو وانتصار ، اذن فالقصر قصر رجل من انصار العباسيين ، ومن الحماقة ان يطرق ابراهيم باب القصر ، غير ان تشبثه بالحياة ، وثقته فى النجاة بفضل الله جعلته يندفع صوب القصر ، ويدق بابه ، ووقف **ابراهيم** مشدوها وهو يرى امامه جارية فاتنة تفتح الباب ، لقد نسى الظما والجوع والخوف وهو يتملى هذه الآية الرائعة من الجمال الفذ ، وكاد ينسى نفسه لولا أن جاءه صوتها ندياً رقراقا :

« اية خدمة استطيع ان اؤديها لك ياسيدى ؟؟ »

فقال وقد ثاب الى رشده :

ـ « جرعة ماء وقليل من الزاد .. هذا كل ما اريده .. »

وقبل أن تتكلم الجارية ، انبعث من داخل القصر صوت أجش أثار الخوف فى قلب ابراهيم :

ـ « من هناك ؟؟ »

فأسرعت الجارية قائلة :

ـ « ضيف أتانا ياسيدى .. »

ـ « اذن فدعيه يدخل .. على الرحب والسعة .. »

وأتى صاحب القصر يرحب بالضيف ، ويقدم له ما يحتاج اليه ، واكل ابراهيم وشرب ، ثم تطلع الى صاحب القصر بعيون ضارعة وقال :

ـ « حياة الخوف هى الموت بعينه .. »

فقال صاحب القصر :

ـ « انت فى مأمن هنا .. »

ـ « اتعدنى بالامان .. »

ـ « اقسم بالله على ذلك .. فما الذى يخيفك اذن .. »

هز ابراهيم راسه ، وقد كانت كلمات صاحب القصر كقطرات من الطمأنينة تنسكب فى قلبه المذعور ، وهمس :

ـ « الراية السوداء تخفق فوق قصرك .. ومعنى ذلك انك تتشيع للعباسين .. »

ـ « هذا شرف عظيم لى .. وانت ؟؟ »

ـ « هذا هو بيت القصيد .. لم اكن مثلك .. حاربت فى صفوف الامويين .. وهاأنذا اضرب فى الآفاق طريدا .. ولا اجد ملجا اختبىء فيه كى انجو بحياتى .. »

وبان الضيق فى عينى صاحب القصر ، كان يكره الامويين ، ويكره كل من دافع عن حكمهم ـ لقد قتل احد الامويين اباه ذات يوم ، فاجتمع لديه كرههم من ناحية المبدأ ومن ناحية غدرهم بأبيه ، امتزجت دوافعه العقيدية بمأساته الشخصية ، فزرعت فى قلبه كراهية مرة للامويين ومن شايعهم ، وقال صاحب القصر :

ـ « لشد ما أكره الكذب .. اننى أمقتك كأموى، ولكنى اشعر نحوك بالعطف كانسان مطارد بائس .. ولن أحنث بقسمى .. لتبق هنا ماشئت .. وستجد الحماية والامان والكرم ..

ولن نخسر كثيرا اذا ما عفونا عن فرد واحد من اعدائنا .. البيت بيتك .. »

ترقرقت الدموع فى عينى ابراهيم ، كان يشعر بأحاسيس مختلطة ازاء هذا الموقف النبيل ، فبكى ندما على قسوته السابقة ، وبكى فرحا لنجاته المؤقتة ، وبكى لانه لايستطيع ان ينفث عن أساه وقلقه بغير الدموع ..

وقضى ابراهيم اياما حلوة رائعة بالقصر ، وكان اجمل اللحظات هى تلك التى تأتى فيها الجارية الحسناء وتقدم له الطعام والشراب ، وتتبادل معه بضع كلمات . كان يرى فى عينيها حنانا دافقا ، وفى كلماتها رقة آسرة ، وفى تصرفاتها وسلوكها بساطة معجزة ، ووجد ابراهيم نفسه يدمن التفكير فيها ، يراها بعين الاحلام فى نومه ، ويتملاها بعين الحقيقة وهى تقدم له الطعام والشراب ، ويجد اسعد أوقاته فى لحظات انتظارها ولقائها . وفكر عشرات المرات فى ان يصرح لها بمكنون هواه المبرح ، ويبثها حبه الطاغى ، لكنه كان يتراجع ، ويكبح اهواءه ، انه ضيف .. وضيف مطارد يهدده الموت والخوف ، فلا يصح أن يمارس لعبة الحب تحت سقف البيت الذى أواه وحماه وبسط عليه ظلال الامن والسعادة .. لكن حبه كان أقوى من ارادته واقوى من منطقة ، فوجد نفسه يقول لها ذات مساء :

ـ « انت تعلمين كم احبك .. »

فردت والدموع على خديها :

ـ « لكن ماحيلتى ؟؟ »

فوثب واقفا وقد فاضت مشاعره :

ـ « أفهم من ذلك انك تبادليننى الحب »

فابتعدت عنه قائلة :

ـ « لكن لا تنسى انني ملك رجل آخر .. رجل ذي مروءة وشهامة .. »

فارتمى على مقعده حائرا وقال :

ـ « هنا تكمن المأساة »

واخذت تجفف دموعها وانصرفت وقلبها يفيض بالاحزان .

وادرك ابراهيم ان صاحب القصر يخرج كل صباح ويمتطي جواده ، ويتقلد سيفه ثم يعود فى المساء متعبا حزينا ، وكان صاحب القصر يتردد على ابراهيم من آن لآخر يبادله الحديث ، ويرحب به ، ويلقى على مسامعه احدث الانباء ، وفجأة قال ابراهيم :

ـ « ما سر اسفارك كل صباح ؟؟ »

تغيرت سحنة الرجل ، وبرقت عيناه بالغيظ ، ودمدم :

ـ « انني أبحث عن قاتل ابى .. »

ـ « قاتل ابيك .. »

ـ « أجل .. لن يهدأ لى بال الا اذا اخذت بثأره .. وعندما يحدث ذلك فسأستشعر حلاوة النصر الحقيقى .. انني اعرف اسم القاتل وان لم اعرف رسمه .. اسمه ابراهيم بن الحكم .. »

وشحب وجه ابراهيم ، وبانت الارتجافة فى يديه ، واخذت انفاسه تتلاحق .. انه هو القاتل .. قتل ابا الرجل الذى اعطاه عهد الايمان ، ولم يخف على صاحب القصر ما اعترى ضيفه من شحوب وارتباك وارتجاف ، فقال فى استغراب :

ـ « ماذا جرى لك ؟؟ »

لم يكن ابراهيم يستطيع ان يتمالك اعصابه ، وذهبت رزانته وصلابته ، وقال دون أن يعى تماما خطورة ما يتفوه به :

ـ « وماذا لو علمت انني قاتل ابيك !! »

ـ « قاتل ابى فى قصرى !! انت الذى ابحث عنه كل يوم ؟؟ مستحيل .. »

عشرات من المشاعر العنيفة الصاخبة اخذت تموج فى داخله ، أيقتله ؟؟ ايتركه ؟؟ انها اللحظة التى ينتظرها ، لحظة الثأر التى سوف تطفىء نار غيظه ، وتبرد وهج أحزانه .. انه قاتل ابيه ..

وانتفض صاحب القصر ، وامسك بذراع ابراهيم وصرخ :

ـ لقد اعطيتك عهدى .. ولن اغدر .. يجب ان تهرب من امامى حالا .. لا اريد ان اراك .. لا اريد ان اراك .. اذهب بعيدا على الفور .. »

كان صاحب القصر يجلس وحيدا ، والحيرة تأخذ بمجامع لبه ، لكنه ـ برغم حيرته وعذابه ـ يحمد الله على أن ضيفه قد رحل بعيدا ، وافاق صاحب القصر على نواح قريب ، واقترب من مصدر الصوت ، كانت الجارية تبكى ، وعندما رأته قالت ضارعة :

« لقد احببته ياسيدى .. انني استحق الموت .. ارحمنى .. انه شيء لا حيلة لى فيه .. وانا اعترف بضعفى وحماقتى .. »

تطلع اليها صاحب القصر طويلا ، واخذت مأساة أبيه تنزوى رويدا رويدا ، ومشاعر انسانية فياضه تنسكب فى فؤاده ، اى تحول خطير يشعر به الآن الحياة بسيطة ولا تستحق هذه الاحقاد ولا هذا العذاب كله ، وقال للجارية فى صوت خفيض :

ـ « لا داعى للبكاء .. الامر لا يحتاج لمثل هذا العناء كله .. والثواب الاكبر عند الله .. اتفهمين؟؟

لقد عتقتك .. انت حرة منذ الآن .. وتستطيعين ان تلحقى به .. هيا .. وليكتب الله لكما السعادة .. »

« دكتور نجيب الكيلانى »

العدد ٥٣

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر